أسئلة حائرة

في

عقول تائهة

بقلم :

دينا علي عمر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فقد يتوارد إلى الذهن بعض الأسئلة يقف حائرًا عاجزاً عن الإجابة عنها وقد يتحرج أن يسأل عنها، وذاك حوار دار بينى وبين صديقتي قد يبدو عجيباً وجريئاً للوهلة الأولى !

ولكن ما هذا الحوار... ؟ وعن ماذا سألتنى...؟ وبماذا أجبتها ...؟

هذا هو ما سنعرفه في الصفحات القادمة إن شاء الله ، سأتركك عزيزي القارئ الكريم تتشوق لمعرفته...!!

فهيا بنا لنعلم ما هذه الأسئلة، ونتعرف سوياً على الإجابة.

فألق سمعك ، وأحضر قلبك ، وتأملها تأمل طالب الحق لا نافر عنه، وكن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أرجو من عزيزي القارئ ألا يتحامل على صديقتي، أو يشك فيها أو في دينها ،ولكن لنقل إنها وسوسة من الشيطان ، وهواجس من النفس الإنسانية الأمارة بالسوء.

فإن كانت صديقتي تتحرج من هذه الأسئلة بوازع من ضميرها وفطرتها الإيمانية ودينها وأخلاقها التي تربت عليها ، فهناك من هم من جلدتنا بل على ديننا وملتنا

ويتشدقون بمثل هذه الأسئلة التي أصبحت أسئلة شبه متكررة كل يوم نطالعها سواء على شاشات التلفاز، أو في الصحف ،أو في المجلات، وكأنهم يختارون من الدين ما لذ لهم وما طاب ، وما يتفق مع هواهم وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾(١)

ونسوا قوله سبحانه وتعالى :

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾(٢)

لقد أصبحنا في عصر غريب تتكالب علينا الأمم ، وتتداعى كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، وانتشر من حولنا من يثير الشبهات حول الدين ويشكك في أصوله وفروعه. وهم كما وصفهم رب العزة :

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(٣)

وحيث أن معظمنا قد ابتعد عن القراءة في الكتب الدينية ، وانغمس في لهو الحياة ومغرياتها وزينتها، فأصبح لا يرى من الدين إلا مجموعة من الطقوس والشعائر يؤديها وهو لاهٍ ، ولا يعرف من الدين إلا القشور الخارجية ، ولم يتعمق في الدين ليرى جوهره . فبعض الناس أصبحوا ماديين لايؤمنون إلا بما تدركه حواسهم . لذلك أصبح من الضرورى أن نرد على هذا المستوى من التفكير، فيجب علينا أن نستوعب كل من حولنا، ونضرب لهم المثل الملائم.

---

(١) سورة:[الجاثية:٢٣] (٢) سورة: [الأحزاب: ٣٦] (٣) سورة: [النمل ١٤]

أرجو بذلك العمل الصغير أن ينتفع به المسلمون ويكون ذخرًا لي يوم الدين، لقد حرصت كل الحرص أن يكون هذا البحث قصيراً حيث أننا أصبحنا في عصر السرعة ،ولا يتوافر لدينا الوقت الكافى للقراءة. "**فخير الكلام ما قل ودل**".

وأحب أن أؤكد أننى في بحثى هذا قد اقتصرت على ثوابت العلم ، أما ما هو متغير فلم اتعرض له،لقد رجعت فيه إلى كتب المتخصصين في هذا العلم ،وحرصت على البساطة والتشويق في طرح الموضوع حتى لا يمل القارئ .

ففي بحثى هذا سخرت العلم لخدمة الدين وليس العكس، بل واستخدمت البراهين الواضحة مما لا يدع مجالاً للشك أو التحير أو التخبط .

أرجو من الله أن يقبله منى ويجعله في ميزان حسناتي.

فما كان من خطأ أو نسيان فمنى ومن الشيطان والله ورسوله منه براء، وما كان من توفيق فمن الله وحده .

وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه وأن أكون جسراً تعبرون به إلى الجنة ويلقى بى في النار .

أرجو من استفاد فائدة من هذا الكتيب فلا يبخل على بدعوة بظهر الغيب لعل الله أن يتجاوز عنى وعنكم ، وأن يجمعنا جميعاً في جنته إخواناً على سرر متقابلين .

"وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد النبي الأمى الكريم "

الفقيرة إلى الله:

دينا علي عمر

أسئلة حائرة في عقول تائهة...!!

- **سؤال خايفه أسأله!!**

جلست أنا وصديقتي نتبادل أطراف الحديث، وبينما نحن نتجاذب أطراف الحديث وإذ بها قد بادرتنى بالكلام فقالت لى: في سؤال محيرنى منذ زمن بعيد ولكننى أخشى أن أبوح لكِ به! خايفه اسأله..!!

فقلت لها: أفصحى عما في نفسك، ولا تخافى شيئاً .

قالت: أخاف أن تتهمينى بالكفر والعياذ بالله ، ولكنه سؤال ملك على تفكيرى، وبات يؤرقنى ليلاً ونهاراً يلح على في أعماق نفسى، وأنا أقاومه بكل وسيلة، ولكن عبثاً أحاول.

أستعيذ بالله من هذه الهواجس والأفكار الرديئة ، ولكننى لا أجد له إجابة، يوسوس به الشيطان لى أحيانا، وأبحث له عن إجابة فلا أجد...!!

قلت لها : لا تطيلى في الحديث فقد نفد صبرى، أدخلى في الموضوع مباشرة ، وبوحى لى عما في نفسك وما يجيش في صدرك لعلكِ تجدى عندى إجابةشافية، والله الموفق بإذن الله.

حينئذ قالت بصوت خائف خافت مرتعش: هو ليس سؤالاً واحداً ولكنها أسئلةكثيرة تراودنى وتحيرنى فأرجو أن يتسع صدرك لى ولا تسأمى منى، ومن كثرة أسئلتي ، وأجد عندك الإجابة الشافية المقنعة.

قلت لها : هاتى ما عندك وسأحاول الإجابة عليها جميعا بإذن الله، والله المستعان على ما تصفين.

فبادرتنى بالسؤال الأول وإذ بها تقول لى : **هل للكون إله... ؟**

في البداية: اندهشت لهذا السؤال..!!

وجلست برهة لأفكر بماذا أجيبها لأبدد حيرتها، وأطفىء نيران الشك والحيرة في قلبها، بحثت في عقلي عن شيء مؤثر أقوله لها ولا يدع مجالاً للتفكير أو الشك أو الجدل مرة ثانية !

وبأي شيءأقنعها فكل ما حولنا يصرخ ب "**لاإله إلا الله**" ولكن كيف أقنعها بذلك فهذا منطق لا يختلف عليه اثنان.

فالكون كله يحتاج لخالق يخلقه، فكل شجرة آية من آيات إبداع الله، فالأرض واحدة وتسقى بماء واحد ولكن هذه تنبت برتقال والأخرى تفاح.. فمن الذي جعل هذه تنبت برتقالاً وتلك تنبت تفاحاً !!كل زهرة تفوح بعطرها الذي يأخذ بالعقل واللب وهذا الجمال والتناسق في الألوان الذي يعجز عن وصفه الواصفون، وهذه الطيور الجميلة ذات الالوان المتناسقة الخلابة كيف تعلمت الطيران وكيف تبنى أعشاشها، كل حشرة آية في إبداعها وألوانها كل جبل أصم شامخ آية من آيات الله، بل كل إنسان في نفسه آية كبرى فمن وهبه هذه الإمكانيات من ذكاء واختراع وإبداع وتفكير...!!

كثير من الناس يمرون على آيات الله في الكون مغمضى العيون.!!فتراهم ينظرون ولا يبصرون، ولا يتفكرون في إبداع الله في الكون.

سؤال كل عصر :

في الواقع هذا السؤال ليس بجديد على الناس ، ولا هو من مبتكرات هذا العصر إنما هو سؤال قديم جدًا سأل به الأنبياء من قبل، بل هو سؤال يتكرر عبر الأجيال والعصور، فهل ثمة فارق بين ما قاله الأولون وما يقوله الآخرون في عصرالعلم والتكنولوجيا.... ؟ [1]

(١) العقائد الإسلامية- سيد سابق٤٢.

في الواقع أنني التمس لصديقي العذر ، لا تقولوا لي إنكِ تدافعين عنها،أو تبحثين لها عن مخرج بل يجب علينا ألا نستغرب من هذا السؤال الذي طرحته صديقي فقد جاء أناس إلى رسول الله ﷺ يسألونه نفس الأسئلة فلم يرمهم بالكفر، ولم يضق بهم ذرعاً بل كان كما وصفه الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين.

-{عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ،فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»}(١)

"صريح الإيمان":معناه استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان .

-{قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ،أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولَ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ "}(٢)

هذا صوت كل عصر ليس شيئاً جديداً ،بل أننا نجد في عصرنا هذا قد ارتفعت الصيحات من الملحدين والمتشككين من أين جاء الكون... ؟ومتى بدأ...؟وكيف.. ؟ وماذا كان قبل بدء الكون... ؟

إنها أسئلة كثيرة يرددها كثير من الملحدين والمتشككين بل ويشككون في وجود خالق لهذا الكون، مرددين أن الكون وليد الصدفة.
سنحاول بإذن الله أن نرد عليهم بما لا يجعل مكانا للشك في وجود الله.(٣)

---

(١) (١٣٢) صحيح مسلم -كِتَابُ الْإِيمَانَ-بَابُ بَيَانِ الْوَسْوَسَةِ فِي الْإِيمَانِ وَمَا يَقُولُهُ مَنْ وَجَدَهَا.

(٢) (١٣٤)صحيح مسلم -كِتَابُ الْإِيمَانَ-بَابُ بَيَانِ الْوَسْوَسَةِ فِي الْإِيمَانِ وَمَا يَقُولُهُ مَنْ وَجَدَهَا

(٣) العقائد الإسلامية –السيد سابق ٣٤.

- **هل للكون إله... ؟**

سؤال تتطلع العقول إليه وتتشوق إلى معرفة الإجابة عنه، يتوجه به الطفل الصغير إلى أبويه مستفسراً، ويحتار الشاب ويرواده نفس السؤال بل ويؤرق نومه أحيانا ، بل نجد هذا السؤال عند ضعفاء الإيمان فيستعيذون بالله من وسوسة الشيطان، بل ويشغل بال كل إنسان فهو سؤال الفطرة فهذا سؤال كل جيل ، وفطرة فطر الناس عليها البحث عن إله وموجد لهذا الكون العظيم.

قديماً سأل الناس هذا السؤال وتاهوا في البحث عن الإجابة عنه، وانقسموا إلى فرق متعددة فمنهم من هداه تفكيره إلى عبادة الشمس أو القمر أو الأصنام ، ومنهم من عبد الله الواحد القهار، كما أن منهم من أنكر وألحد .

لذلك سوف تتطلع العقول لمعرفة الإجابة عن هذا السؤال في المستقبل مادام هناك كون يسير وعقل يفكر، وإنسان يعى وينظر .

إذا توجهت بهذا السؤال إلى رجال الدين يخاطبونك بآيات من الكتب السماوية، وأحاديث من كلام الرسل غافلين عما أكتشفه العلم الحديث الذي يؤيد ما يقولون، ويثبت صحة كلامهم فهو برهان ساطع لايدع مجالاً للشك في وجود الله[1] لكل ذى بصر وبصيرة.

فنحن أبناء القرن العشرين أصبحنا في عصر التكنولجيا والكمبيوتر،بل وغزونا الفضاء، فالسائل في عصرنا هذا يريد جواباً مقنعاً فلا يسلم لك بما تقول بسهولة، بل تجد جدال وتشكيك فيما تقول .

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم -الدمرداش عبد المجيد ٧-١٠.

من الذي أوجد هذا الكون العظيم ؟

سنحاول أن نتساير مع هذا العصر ومع ما يردده هؤلاء الملحدون لنثبت لهم بما لا يدع مجالاً للشك ونبين مدى بطلان ما يرددونه، لو طرحنا سؤالاً.. من الذي أوجد هذا الكون العظيم بكل ما فيه من سماء وأرض وجبال وإنسان وحيوان ...؟

بادىء ذي بدء ليس أمامنا إلا ثلاثة فروض يمكن أن نفرضها في تعليل الأصل الذي صدر عنه الكون:

الفرض الأول:- أن يكون صدور هذا الكون من العدم ، وهو رأى باطل يرفضه العقل والمنطق السليم لا يحتاج إلى مناقشة ،فلا توجد صنعة بدون صانع ، فمن اليد التي أبدعت هذا الكون ؟ وما هذا النظام الذي يسير عليه، والدقة المتناهية منذ أن خلق الله الخلق إلى أن يرث الأرض ومن عليها؟!

الفرض الثانى :- أن تكون الصدفة هي التي نشأ عنها هذا الكون البديع، وهذا من قبيل المستحيل إذ لا يمكن أن توجد صدفة ؛ لأن كل حادث لابد له من محدث.

قالوا : الصدفة هي التي أوجدت هذا الكون البديع..!!

فهل الصدفة هي التي خلقت الذكر والأنثى وألفت بينهما ؟ هل الصدفة التي سيرت الكواكب والنجوم مع ضخامتها وكثرتها بهذه السرعة المذهلة دون أن تتصادم؟! هل الصدفة هي التي أوجدت العناصر التي يتألف منها الكون ؟! وهل هي التي تنسقها تنسيقا دقيقاً صالحاً للاستمرار والدوام إلى المدى الذي إراده الله؟ وهل الصدفة هي التي خلقت الأرض وما فيها من إنسان وحيوان ونبات وجماد...؟

بل لابد من خالق مبدع عليم أحاط بكل شيء علماً ،وقدر كل شيء ثم هدى.

﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]

قال الخازن: ومعنى الآية هل خُلقوا من غير شيءٍخلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز أن يكون، لأن تعلق الخلق بالخالق ضروري، فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق، أم هم الخالقون لأنفسهم؟ وذلك في البطلان أشدُّ، لأن ما لا وجود له كيف يخلق؟ فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقاً فليؤمنوا به، وليوحدوه، ولْيعبدوه، ولْيوقنوا أنه ربهم وخالقهم .[2]

الفرض الثالث:- أن يكن ثمة موجد أوجد هذا الكون وأنشأه، وهذا ما سوف نتناوله بالبحث والتحليل في الصفحات القادمة بإذن الله ."[3]

فكل من أراد أن يستدل على وجود الله فلديه طريقان لاثالث لهما:كتاب الله المقروء وهو القرآن الكريم . وكتاب الله المنظور وهو صفحة الكون الواسعة.

- **الأدلة والبراهين على وجود الله سبحانه وتعالى :**

الله سبحانه وتعالى موجود ولا يحتاج إلى براهين أو أدلة تدل على وجوده ،فكل ماحولنا في الكون ينادى بأعلى صوته **الله** ولكننا نسوق هذه الأدلة لهؤلاء المتشككيين في الإسلام الذين لعب الشيطان برءوسهم فأضلهم عن السبيل، وزين لهم زخرف القول من مجادلات ومراوغات حتى يشككوا الناس في دينهم ،ولكن الله غالب على أمره، ولن يستطيع أحد مهما أوتى من قوة أن يشكك في وجود الله .

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[4]

---

(١)[سورة الطور:٣٥-٣٦]

(٢)لباب التأويل في معالم التنزيل -الخازن ٤/٢٠١.

(٣) العقائد الإسلامية -السيد سابق ٣٥.

(٤) سورة:[الأنعام :١٠٢]

فلنناقش الأمر بموضوعية أكثر ونستخدم العقل حتى نصل إلى اليقين والإيمان، فمن أين وجد الإنسان؟ ومن يقدر على هذا الإيجاد؟ وهل الأقدار التي تجرى علينا وفق تقدير العقل أم أن ذلك من المجهول أمام الإنسان؟ أم نحن مستسلمون لما يجرى علينا سواء بالغنى أو الفقر أو الصحة أو المرض؟ هل الإنسان يعلم ظواهر الأمور وبواطنها ؟

في السطور القليلة القادمة سوف نستعرض الأدلة المادية على وجود الله فهيا بنا لنبحر سويا لمعرفة هذه الأدلة.

❊ ٠دليل الخلق :-

من المعروف أن الإنسان لم يخلق نفسه ، ولم يخلق غيره سواء من الحيوانات أو النباتات أو الأرض التي يعيش عليها، ولم يدع أي إنسان منذ خلق الله الخلق أنه قادر على أن يخلق أي شيء من العدم .

﴿۞مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾[1]

"فقضية الخلق محسومة لله سبحانه وتعالى ؛ لأنه هو الذي يخاطب عقول البشر في كل زمان ومكان، وكلما تقدم العلم يكشف ما يشاء لمن شاء ، فالله يخاطب كل العقول من العلماء إلى العقول البسيطة ، فالله يخاطب عقولنا لنتفكر بها ؛ فنحن بالعقل ندرك أن هناك خالق مبدع قادر ، فكل ما حولنا ينطق ويشهد أن "**لا إله إلا الله**"

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٦٣﴾[2]

(١) سورة:[الكهف :٥١]

(٢) سورة:[العنكبوت:٦٣]

"فقضية الخلق محسومة لله سبحانه وتعالى ؛ لأنه هو وحده الذي قال إنه الخالق، وإن كان هناك قوة أخرى قد أوجدت هذا الكون فلماذا لم تعلن عن نفسها...؟؟؟ .

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾[1]

"وبالرغم من إننا نعيش على هذه الأرض فلا يستطيع أي شخص أن يدعى أنه أوجد أي شيء في الأرض من عدم، فمن الذي أوجد الشجرة الأولى ، ومن الذي أوجد حبة القمح الأولى ؛ فالله أوجد كل شيء من العدم ، ومهد هذه الأرض ؛ لتكون في استقبال الإنسان ليستقر عليها،ويتقلب في أنحائها ويستفيد من سهولها الواسعة المليئة بأنواع المزروعات". [2]

إن الكفار أنفسهم لم يستطيعوا أن يجادلوا في قضيه الخلق ؛ فكل شيء في الكون من سموات وأرض وإنسان وحيوان وزرع وماء من صنع الله . [3]

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾[4]

- **الإعجاز في الخلق دليل على طلاقة القدرة:-**

يقول ابن القيم :إنني والله استغرب من الذين يرددون أننا من صنع الطبيعة... فمن أين للطبيعة هذا الاختلاف، والفرق الحاصل في النوع الإنساني بين صورهم؛ فَقَلّ أن يُرَى اثنان متشابهان من كل وجه وذلك من أندر ما في العالم، بخلاف أصناف الحيوان كالنّعم والوحوش والطير وسائر الدوابّ؛ فإنك ترى السرب من الظّباء،

---

(١) سورة:[الزمر:٦٢]

(٢) الأدلة المادية على وجود الله –الشعراوي ١٠ .

(٣)الأدلة المادية على وجود الله-الشعراوي ٥-٨ .

(٤) سورة:[العنكبوت:٦١]

والثلّة من الغنم، والذّود من الإبل، والصّوار من البقر تتشابه حتى لا يفرّق بين واحد منها وبين الآخر إلاّ بعد طول تأمّل، أو بعلامة ظاهرة، والناس مختلفة صورهم وخلقتهم فلا يكاد اثنان منهم يجتمعان في صفة واحدة وخلقة واحدة، بل ولا صوت واحد وحنجرة واحدة.

والحكمة البالغة في ذلك أن الناس يحتاجون إلى أن يتعارفوا بأعينهم لما يجري بينهم من المعاملات، فلولا الفرق والاختلاف في الصور لفسدت أحوالهم، وتشتّت نظامهم، ولم يعرف الشاهد من المشهود عليه، ولا المَدين من ربّ الدَّين، ولا البائع من المشتري، ولا كان الرجل يعرف عروسه من غيرها للاختلاط، ولا هي تعرف بعلها من غيره، وفي ذلك أعظم الفساد والخلل. فمن الذي ميّز بين أشكالهم وصورهم وأصواتهم، وفرّق بينها بفروق لا تنالها العبارة ولا يدركها الوصف؟"[1]

كل إنسان خلقه الله هو كيان منفرد عن مثيله من بنى البشر .

وبالرغم من تشابه بلايين الأشخاص في الشكل العام بل ونجدهم أيضا متماثلون فيما يمتلكونه من أجهزة الجسم، فبنية الإنسان واحدة، ولكن يتضح لنا الاختلاف جليا بين شخص وآخر حيث إن كل واحد منا له ما يميزه وحده عن غيره فهو كيان مختلف عن الآخر له فكره وله طموحه ،بل وله شخصيته التي لا تتكرر مع خلق الله كلهم، وهذا هو الإعجاز في الخلق والدليل على طلاقة القدرة.[2]

فكل منا له بصمة أصبع ، وبصمة صوت يمكن أن يميزها خبراء التسجيل،وبصمة رائحة، وبصمة شفرة وراثية تجعل الجسد يعرف بعضه بعضا ؛ فإن جئت بخلية من

(١) «مفتاح دار السعادة»-ابن القيم ٧٥٩-٧٦٠.

(٢) تفسير الشعراوي بتصرف١/١٥٥.

جسد آخر لفظها؛ وإن جئت بخلية من الجسد نفسه اتحد معها وعالج جراحها، فكل مخلوق يختلف عمن قبله وعمن بعده،وعمن حوله مع أنهم في الشكل العام متماثلون.[1]

- **طلاقة القدرة في عمل أعضائنا الداخلية :**

لقد أثبت الله تعالى طلاقة قدرته فيما نحن مقهورون فيه في أجسادنا التي تعمل أعضاؤها الداخلية بقهر من الله سبحانه وتعالى وليس بإرادة منا كالقلب والتنفس والدورة الدموية والمعدة والأمعاء والكبد كل هذا وغيره مقهور لله تعالى لا نستطيع أن نأمره ليفعل فيفعل ، أو أن نأمره ألا يفعل فلا يفعل .

بل لقد أثبت الله سبحانه وتعالى طلاقة قدرته فيما يقع علينا من أحداث في الكون فهذا يمرض، وهذا تداهمه سيارة، وهذا يموت على فراشه، وهذا يقع على حجر، وهذا يسقط، وهذا يعتدى عليه إنسان وكل الأشياء التي تقع عليك لا دخل لك فيها ولا تستطيع أن تمنعها.[2]

- **الإنسان جاء إلى الأرض وكل شيئًا معداً لاستقباله:**

فالكون بكل مافيه وجد قبل أن يخلق الإنسان،فالإنسان قد جاء وكل شيء ممهد له فوجد أرضاً يسكنها وسماء تعلوه، وهواء يتنفسه، وماء يشربه، وشمساً مضيئة، وقمراً منيراً ،بل أن هناك أشياء أكبر من قدرة الإنسان خلقت وسخرت لتخدمه ، وتعطيه كل متطلبات الحياة بدون مقابل ، وأشياء أخرى تحتاج إلى جهد الإنسان وعمله حتى تتم عمارة الأرض، إذن لا أحد ينكر أن الكون قد تم خلقه قبل خلق الإنسان.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[3]

---

(١) تفسير الشعراوي ١/٥٤٩.

(٢) تفسير الشعراوي ١/٤٥٢.

(٣) سورة:[البقرة :٢٩]

- **الكون كله مسخر لك أيها الإنسان:**

ومعنى التسخير: هو التذليل .فالهواء مسخر، والماء مسخر ، والنبات مسخر، والحيوان مسخر. فالتسخير نعمة ، فالله سبحانه وتعالى قد خلق الكون أولا ، ثم سخر كل شيء لخدمة الإنسان هذا السيد الذي تخدمه كل الكائنات.[١]

فلو نظرنا إلى الكون لوجدنا دلائل تودد الله لنا فلقد سخر لنا الشمس والقمر والنجوم والبحار، فبيد من هذا... ؟

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ﴾[٢]

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]

- **التسخير نعمة من الله :**

مما لاشك فيه أن الله سبحانه وتعالى قد خلق هذا الكون وأوجده غير مستعين بأحد من خلقه ، وأننا قد جئنا إلى كون معد لنا إعداد كاملا؛ لكن قدرة هذا الكون لاتخضع لنا ولا لقدراتنا فالشمس والقمر والأرض والجبال والبحار أقوى من قدرة البشر جميعاً؛ أذن فلابد أن تكون هذه الأشياء قد أخضعت لنا بقدرة من خلقها وليس بقدرتنا نحن، فهي مسخرة لنا لا تعصى لله أمرا، فالهواء لايستطيع أن يهب يوماً ويمتنع يوماً ، والمطر لايستطيع أن يمتنع عن النزول حيث تنعدم الحياة على وجه الأرض ،بل أننا لم نستيقظ يوما فوجدنا أن الشمس قد اعتذرت وقالت :لن

---

(١) تفسير الشعراوي ١٢/٧١٦٧.

(٢) سورة:[لقمان: ٢٠]

(٣) سورة:[الحج :٦٥]

أشرق اليوم ،كذلك الأرض لاتستطيع أن تمتنع عن إنبات النبات ، بل الكون كله يسير في منظومة متكاملة ؛ أن الكون كله في خدمة الإنسان وليس عدوّاً له ،فالكون كله مسخر لك أيها الإنسان بدءً من الأرض وانتهاءً بالمجرات .[1]

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾[2]

فالكون كله مسخر لخدمتك أيها الإنسان ،فكل يسير في دقة ونظام متناهية ولا تستطيع البشرية كلها أن تدعى أن لها دخلا في مهمة هذا الكون لأنه لايخضع لإرادتها.

- **تسخير الحيوان:**

إذا انتقلنا إلى تسخير الحيوان لخدمة الإنسان نجد طلاقة القدرة واضحة، فهناك من الحيوان ما تزيد قوته على الإنسان مرات ومرات؛ ولكن الله سبحانه وتعالى أخضعه وذلّله لنا فنجد الصبي الصغير يقود الجمل أو الحصان ويضربه ،والجمل يستطيع أن يقضى عليه بضربة قدم واحدة .

فمن جعله مذلَّلاً لنا... ؟

هل تعلمين ياصديقتي أن بمرض جنون البقر اضطرت بريطانيا إلى إعدام ١١ مليون بقرة ، قيمتها ٣٣ مليار جنيه إسترليني ، لأنها توحشت ، فالتذليل من نعمِ الله الكبرى.

﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ٧١ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ٧٢ وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ﴾[3]

فإذا جئنا إلى غيرها من الحيوانات فهناك العقرب والأفعى بالرغم من صغر حجمها

(١) الأدلة المادية على وجود الله-الشعراوى بتصرف٥-٦. (٢) سورة:[النحل: ١٢] (٣) سورة:[يس:٧١-٧٣]

فهي غير مذلَّلة لنا ، بل نرتعد منها بل ربما تفترسنا أو تقتلنا فلو كان هذا التذليل بقدرة الإنسان لاستطاع أن يذلِّلها،فالله سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا أن هذا التذليل بقدرته،وجعل موازين القوة والضخامة تختل حتى لايقال أن هذا الحيوان قوى بحجمه أو بالقوة التي خلقت له، بل جعل أضعف الأشياء بل وأصغرها يمكن أن يكون قاتلاً للبشر .[1]

❊ ٠التحدى الإلهى في الخلق :

فالله سبحانه وتعالى يتحدى علماء الدنيا كلها أن يأتى عالم فيقول لنا أنه أوجد أي شيء من العدم، أو أنه خلق أي مخلوق في الكون ،فلن يستطيع علماء الدنيا كلهم لو اجتمعوا أن يخلقوا ذبابة وهذا من إعجاز الله ؛ لأنه وحده الذي خلق كل شىء من العدم.[2]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾[3]

❊ ٠ثبات قوانين الكون :

إن المتفكر في خلق السموات والأرض يتبدى له من خلال جولته التأملية أن الله خلق الكون بدقة متناهية، وأن الله قد ثبت أشياء كثيرة منها النواميس والقوانين التي تحكم حركة الحياة فلو لم تكن قوانين الكون ثابتة لأشرقت الشمس يوماً وغابت أخر، ولدارت الأرض ساعات وتوقفت ساعات، ولكن هناك نظام ودقة في حركة الكون ، والله سبحانه وتعالى لا يريد كوناً فاسداً في نظامه؛ ولكنه

---

(١) الآيات الكونية ودلالتها على وجود الله تعالى-الشعراوي ٨. (٢) الأدلة المادية على وجود الله-الشعراوي ١١. (٣)سورة:[الحج:٧٣]

يريد كوناً يتناسب مع عظمة الخالق وقدراته وإبداعه في الكون. [1]

- **قوانين الكون خاضعة لإرادة الله :**

كذلك كل قوانين الكون خاضعة لإرادة الله ، فالشمس لها حركة كونية ثابتة فهي تشرق من الشرق وتغرب من الغرب ، ولها حركة وقانون وضعه لها خالقها؛ لتؤدى مهمتها في الكون فلا تحيد عنه، كذلك الأرض، والرياح والنجوم .

- **كل ما في الكون يسير بمنتهى الدقة والنظام :**

فالكون كله يسير وفق منظومة واحدة متكاملة ، فالشمس لا تسبق القمر ولا الليل يسبق النهار فلا يزاحمه في محله أو وقته، وإنما كل واحد من الشمس والقمر، والليل والنهار، يسير في هذا الكون بنظام بديع قدره الله تعالى له، بحيث لا يسبق غيره، أو يزاحمه في سيره.

فالشمس والقمر والنجوم تتحرك بحساب دقيق، فالشمس لا تتأخر عن موعد شروقها ثانية، ولا تتقدم ثانية منذ ملايين السنين ،كذلك القمر له دورته الشهرية لا يحيد عنها منذ ملايين السنين فهذا النظام والدقة صنع من... ؟

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [2]

فكل هذه الأجرام لها مسار تتحرك فيه بإذن الله تعالى،ولا تستطيع البشرية كلها أن تؤخر شروق الشمس ثانية أو أن تقدمها ثانية، أو أن توقف دوران الأرض أو تسرع بها أو تبطئ حركة دورانها.

---

(١) الآيات الكونية ودلالتها على وجود الله تعالى-الشعراوي ٨.

(٢) سورة:[يس : ٣٩-٤٠]

إذن فثبات قوانين الكون دليل على دقة الخالق وإبداعه وعظمته وقدرته، وهذا ما لايستطيع أحد أن ينكره .[1]

- **كذلك ثبات عناصر الكون :**

ماذا لو تصورنا أن الحديد تارة يكون قاسياً وتارة يكون ليناً !! فأنت حينما تنشئ مبنى تكون خائفاً قلقاً لعل هذا الحديد بعد حين يصبح ليناً فينهار هذا البناء، فثبات خصائص المواد هو الذي يهب الأمن والأمان للناس.

ماذا لو أنك اشتريت بذوراً تنبت تفاحاً وقمت بزراعتها فكان المحصول برتقالاً مثلا!! إذن لاختلطت الأمور ولفسدت الحياة .

كذلك ثبات صفة المعادن فلو أنك اشتريت خاتماً من ذهب ثم بعد مدة من الزمان أصبح حديداً مثلاً فهذه مشكلة .

- **كذلك ثبات أنظمة الجسم البشرى:**

فكل أجساد بني آدم تتركب من بنية واحدة، فالقلب مثلاً في جهة الشمال، فماذا لو كان إنسان قلبه ناحية الشمال والآخر ناحية اليمين ؟!

هذا الثبات يكفى في أن تشرّح إنساناً واحداً فيكون كافياً إذا عالجت أي إنسان تكون بنيته وأعصابه وأوردته وشرايينه وفق هذا النموذج .

❊ ·إبداع الله في الخلق :

فلو ألقينا نظرة تأملية في الكون لوجدنا إن الله سبحانه وتعالى ما خلق شيئا في الكون إلا وأبدع خلقه فأيّ شيء صنعه الله عز وجل خلقه بدقة فائقة،وبحكمةٍ بالغةٍ بالغة ،فلا تمجه النفوس، بل ولا تسأم من تكرار رؤيته كل يوم، لقد كان من الممكن أن تكون هذه الأشياء جافة صماء ليس بها حياة.

(١) الآيات الكونية ودلالتها على وجود الله تعالى-الشعراوي ٨.

لكن انظر إلى الشمس وقت شروقها وغروبها وما تحدثه في القلب...!!

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ﴾(١)

وهكذا يجمع الإسلام بين الإشباع الحسّي والوجداني ، وحاجات الإنسان المادية ليرتقي به مادياً ونفسياً ويحدث التوازن في شخصيته وحياته.

فما من مخلوق على وجه الأرض ، وما من مخلوق يطير بجناحيه ويحلق في السماء، وما من مخلوق في أعماق البحار إلا وخلقه الله فأبدع خلقه ، وصنعه أتقن صنعة ، بل انظر إلى السماء ليلاً وكيف تتلألأ بها النجوم لتكون مبهجة جميلة في عيون الناظرين إليها، وآية للمتفكرين في دلائل قدرة الله تعالى وبديع صنعه! واختلاف ألوان الزهور والفراشات والأسماك! فلا نملك إلا أن نقول سبحان من خلق وصور...!!!

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ﴾(٢)

- **فالله يخلق بإبداع:**

ومعنى الإبداع :أن تخلق شيء جديد لم يكن موجوداً من قبل ، فما صنع الإنسان الغواصة إلا تقليداً للسمكة ، وما صنع الحاسوب (الكمبيوتر) إلا تقليداً للذاكرة .

- **إبداع الله بلا أدوات:**

فالإنسان يحتاج لمصانع كبيرة ومعدات ضخمة، والله يبدع بقوله :"**كن فيكون**".

---

(١) سورة: [يونس :٥]

(٢) سورة:[السجدة :٧]

- **خلق الله لايحتاج إلى تعديل :**

أما الإنسان فيغير ويعدل، فالسيارة قديمًا تختلف عنها اليوم؛ لأنه اكتشف في كل مرحلة عيوبًا في الصناعة،أما خلق الله فلا يحتاج إلى تعديل أو تغيير أو تبديل فليس هناك إنسان موديل سنة١٦٠٠، وإنسان موديل سنة ٢٠١٥ ، ولكن الإنسان هو الإنسان لم يعدل ولم يتغيير وذلك لأنه صنعة عليم خبير.

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾[١]

- **إبداع الله لانهائي:**

فمهما أبدع رسام فلابد أن يكرر نفسه ، ولكن انظر إلى أشكال البشر وألونهم وأصواتهم وبصماتهم يستحيل أن تجد اثنين في هذا الكون كله لديهم نفس بصمة اليد أو نفس بصمة الصوت.

- **الله عز وجل يخلق من أصغر الأشياء وأكبرها:**

فخلق الشجرة من البذرة ، والطائر من البيضة، والإنسان من النطفة !![٢]

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[٣]

- **الله عز وجل خلق ما يحس وينمو ويتكاثر من العدم:**

فمهما تقدم العلم بالإنسان فإنما هو يأخذ من المادة التي خلقها الله ويستخدمها. فمثلا يصنع الكوب من الرمال؛ ولكن هل يستطيع أن يهب لها الحياة، أو يجعلها تتكاثر بذاتها لتعطيك مثلها كوباً آخر ، فنحن لم نر كوباً ذكر وآخر أنثى،هل يستطيع الإنسان مهما أوتى من قوة أن يهبها صفة النمو ؟

فصنعة الله خلق ينمو بذاته، ويعطى مثله فيتكاثر ذاتياً .[٤]

---

(١) سورة:[النمل: ٨٨] (٢) باسمك نحيا -عمرو خالد١١٤-١١٥. (٣) سورة:[الزمر٦٧] (٤) نهاية العالم -الشعراوي ٤١.

❊ ·الفطرة دليل على وجود الله:

وهو شعور فطرى مغروس في النفس الإنسانية وهو ما يعرف بالغريزةالإيمانية، يستوى في ذلك العالم والجاهل الرجل والمرأة.

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١)

كذلك فطرة الإنسان المؤمن تدعوه أن يدعو ربه وقت الشدة ، فكم دعا الإنسان ربه فأجاب دعاءه ، وكم ناداه قلبه فلبى نداءه، وكم سأله فأعطاه وكم توكل عليه فكفاه، وكم من مرض شفاه منه، وكم من ألم خففه عنه، وكم من رزق ساقه إليه، وكم من كربة فرجها عنه، وكم من غمة كشفها عنه؛ إن تجارب الإنسان في الحياة لتأخذ بيده وتوصله إلى الله مباشرة .

- **الله هو الذى يكشف الضر والكرب العظيم :**

فالكافر بفطرته يدعو ربه ويتجه إليه فيدعوه في وقت الشدة والكرب الشديد.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾(٢)

إن المشرك يكتشف بفطرته كذبه على نفسه عندما يجد نفسه يصارع الموت فيتجه بفطرته إلى الله ، وذلك إذا عزت عليه الأسباب، ووقع في مأزق فهو لا يخدع نفسه ويقول: يا صنم أنجدني: وإنما يقول: " يا رب أنقذني ".(٣)

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾(٤)

---

(١) سورة:[الروم:-٣٠] (٢) سورة:[الإسراء :٦٧] (٣) تفسير الشعراوي٢/٦٩٣. (٤) سورة:[لقمان :٣٢]

❊ ٠طلاقة قدرة الله في الكون :

طلاقة قدرة الله في الكون بلا حدود فالله بنى الكون على أساس الزوجية ليظل سبحانه وتعالى متفردا بالوحدانية لايشاركه فيها أحداً أبداً،حيث نجد الزوجية في خلق الإنسان حيث خلق الله سبحانه وتعالى الذكر والأنثى، وكذلك نجد الزوجية في الحيوان، بل وفي النبات ، بل وفي الجماد حيث نجد السالب والموجب.

كذلك تتضح طلاقة القدرة في أنه قد يتزوج الذكر بالأنثى وقد لا يرزقان أعواماً طويلة بالولد ، وقد يرزق هذا بالذكر، وقد يرزق ذاك بالأنثى.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾[1]

ولا تقف طلاقة قدرة الله عند هذا الحد فالأصل في الإيجاد من ذكر وأنثى، ولكن الله سبحانه وتعالى خلق إنساناً بدون ذكر وأنثى وهو آدم عليه السلام ،وخلق من ذكر بدون أنثى وهي حواء حيث خلقها من ضلع آدم عليه السلام ، وخلق إنساناً بدون ذكر وهو عيسي عليه السلام .

وهذه كلها حدثت مرة واحدة لإثبات طلاقة القدرة وهي لا تتكرر، مما يثبت بأن طلاقة قدرته سبحانه وتعالى ليس لها قيود ولاحدود ،فهو سبحانه خالق الأسباب وقدرته فوق كل شيء .[2]

❊ ٠دليل القهر :

والقهر يعنى السيطرة ، ونحن نعرف أن القهر يخضع القوالب لكنه لا يخضع القلوب، والإنسان قد خلقه الله مسيرٌّ في بعض شئونه ومخيرٌّ في بعضها.

---

(١) سورة:[الشورى:٤٩-٥٠]

(٢) الأدلة المادية على وجود الله-الشعراوي١٢-١٣.

فأفعال العباد على نوعين:

اضطرارى:وهو ماليس للعبد فيه ملجأ أو اختيار ، مثل عمل أعضاء الجسم الداخلية،كذلك بعض الأمور التي لم تختارها بمحض إرادتك فأنت مثلاً لم تختار يوم ميلادك ، ولا يوم وفاتك وهذا لا يحاسب عليه العبد يوم القيامة .

كذلك الله سبحانه وتعالى يمتلك خزائن الأرض والسماء فيرفع هذا ويذل هذا ، وكل ذلك مسطور عند الله، فكل شيء في هذا الكون خاضع لإرادته وقدرته، وتصرفه.[١]

واختيارى: بإرادته وذلك مثل الكفر والإيمان وهذه التي يحاسب عليها العبد.

وكما نعلم أن جميع أفعال العباد قد أحاط الله بها علما ونفذت فيها مشيئته،حيث خلق للعباد قدرة إرادة تقع بها أقوالهم وأفعالهم وفق مشيئة سبحانه وتعالى فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن.[٢]

- **قدر الله ينفذ عليك رغم إرادتك:**

لقد ترك الله سبحانه وتعالى للإنسان حرية الاختيار بين الإيمان أو الكفر، ولكن الله لم يدعك هكذا على إطلاقك بل هناك أموراً تصير عليك برغم أنفك وأنت مقهر لا تملك حولاً ولا قوة ، فأنت مثلاً لم تختار أبوك أو أمك أو تختار صورتك التي صورك الله عليها، كذلك لم تخير في أن تكون غنياً أو فقيراً،ولا فيما يطرأ عليك من الأحداث الخارجة عن إرادتك كالمرض والعجز والشيخوخة وغيرها، فأنت مقهور في قبضة الله فلا تنفلت منها، فإذا جاءك قدر الله بالمرض فامنعه عن نفسك وقل: لن أمرض، وإذا جاءك قدر الله في مكروه أو أن تصاب في حادث أو تسقط من مكان فتتهشم عظامك فقل: لن أسقط ،فإذا جاء قدر الله بالموت فامنعه عن نفسك ،وقل: لن أموت.

---

(١)تفسير الشعراوي بتصرف ٢/١٠٧٥- ١٠٧٦.

(٢) الجمعية الشرعية بين المنهج والتطبيق ٥٢.

لن تستطيع أن تفعل شيئا لأن الله سبحانه وتعالى لم يعطك الاختيار في أن تفعل أو لاتفعل في الأقدار التي تقع عليك فقدر الله ينفذ عليك رغم إرادتك، وأنت خاضع لقدر الله سواء رضيت، أو لم ترض فلو اجتمعت الدنيا بإسرها لن تستطيع أن تغير قدراً من أقدار الله .[١]

❊ ٠الدقة والنظام في الكون :

الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء بمقدار وميزان وحساب دقيق بحيث يتلاءم مع مكانه وزمـانه، فالله سبحانه وتعالى يمتلك خزائن السموات والأرض ولكن كل شيء بمقدار عنده فلو بسط الله تعالى الرزق لعباده لتكبروا ولطغوا وعتوا ولكن أنزل الرزق بتقدير محدد اقتضته حكمته ومشيئته يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ ۞وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧ ﴾[٢]

﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾[٣]

وكذلك كل شيء يتناسق مع غيره من الموجودات القريبة منه والبعيدة عنه، فلا يصطدم بالمخلوقات الأخرى ، وذلك يتم إذا ما وضع في مكانه الملائم وزمانه المناسب ، وبالكم الذي يصلح ولا يفسد ، وعلى الكيفية التي يتحقق بهـا التناسق والتوازن بين وحدات الكون وأجزائه وينتظم بها سير الوجود. وذلك تحقيقاً لقوله تعالى :

﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾[٤]

انظر إلى الدقة والنظام في خلق الشمس والقمر فكل شيء يسير وفق منهج رسمه الله له

---

(١) تفسير الشعراوي بتصرف ٢/١٠٧٥- ١٠٧٦. (٢) سورة:[الشورى:٢٧] (٣) سورة: [الحجر : ٢١] (٤) سورة:[القمر: ٤٩]

لا يحيد عنه ولا يتغير ولا يتبدل.

﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾[1]

بل انظر إلى التوازن البيئ الذي خلقه الله بين الكائنات فلو طغى أي كائن بأن تكاثر عدده مثلاً فإن ذلك سوف يقضى على الكون كله؛لكن كل شيء عنده بمقدار وكل شيء له غاية من وجوده حيث يسير الكون كله في منظومة متكاملة متناغمة فكل يكمل بعضه البعض، وكل يحتاج إلى غيره.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ۝٢﴾[2]

❊٠هداية كل مخلوق لما خلق له :

الهداية من أظهر الأدلة الكونية على وجود الله جل وعلا،ويقصد بها في هذا المقام أن كل مخلوقات الله قد ألهمت الغاية من وجودها ، وهديت إلى ما خلقت من أجله .

- **لله في خلقه شؤون:**

كذلك تتضح كمال صنع الله وعنايته بالخلق فكل مخلوق خلقه الله مُهيئاً لأداء وظيفته ، فأعطاه من الخلق والتصوير ما يُؤدي به وظيفته على الوجه اللائق به ، والهيئة التي تتحقق معها منفعته ومصلحته ، ثم هداه إلى وظيفته التي خلقه من أجلها، وأمده بالوسائل والملكات التي تحقق هذه الوظيفة.[3]فكل ميسر لما خلق له.

﴿ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[4]

كل شيء في الوجود خلقه الله بقدر وحكمة وكيفية لأداء مهمته، فكل ما في الوجود،

---

(١)سورة:[الرحمن :٥] (٢)سورة:[الفرقان:٢] (٣) التفسير الوسيط-الطنطاوي/١١٣. (٤) سورة: [طه: ٥٠]

خلقه الله لمهمة ما، فجاء خَلْقه مناسباً لهذه المهمة التي خُلِق من أجلها بل ويسّره لها. وهو يُؤدِّي مهمته على الوجه الأكمل تأدية تلقائية غريزية.[1]

فهذه المخلوقات تسير وفق المنهج الذي رسمه الله لها فلا تحيد عنه فهذا الإلهام إنما هو إلهام فطري،أو إلهام غريزي الذي به تتوجه المخلوقات جميعها إلى أداء دورها ، ولتحقيق وظيفتها في هذه الحياة.

﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [2]

انظر إلى مجتمع النحل ومدى الدقة والنظام التي يسير عليها فمن علمه هذا...؟!

بل انظر إلى النمل وكيف يدخر طعامه وكيف يحفر الإنفاق ويبنى بيوته فمن ألهمه ذلك...؟!

أن القلم ليعجز عن حصر كل مخلوق هدى إلى سبب وجوده ليحقق وظيفته في هذه الحياة وينفذ الغاية التي من أجلها خلق فلا نملك سوى أن نقول:سبحان الله.

- **الرد على من زعم أن الكون ليس له إله :**

أن الكون لا يمكن أن يكون قد وجد بمحض الصدفة، ولا أن يكون قد أوجد نفسه بنفسه ، بل لابد وأن يكون له موجد عظيم أوجده بعلمه وحكمته وقدرته ، وأن هذا الموجد العظيم لابد وأن يكون مغاير لخلقه، وأن يكون له من صفات الكمال والجلال ما يميزه عن جميع خلقه فهو سبحانه لايحده أي من المكان أو الزمان لأنه سبحانه هو الذي أوجدهما من العدم، ولا يشكله أي من المادة أو الطاقة لأنه جل جلاله هو خالقهما من العدم، ولا نعرف عنه سبحانه وتعالى إلا ما وصف به ذاته العلية فقال عز من قائل :

(١) تفسير الشعراوي-بتصرف١٥/٩٢٨٤ .

(٢) سورة: [الأعلى:٣]

﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾ (١)

لقد كانت قضية الخلق عبر التاريخ وإلى اليوم هي حجة المتشككين والضالين من الخلق، ولو نظر أي من هؤلاء التائهين في نفسه، أو في شرابه وطعامه، أو في كيفية إنجابه ومراحل خلقه، أو في الكون من حوله لأدرك أن ذلك يصيح بأعلى صوته "**الله خالق كل شيء**"وهذا ما أكدته الآية الكريمة :

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ ﴾ (٢)

وفي الوقت الذي ارتفعت أصوات بأن لا عقل ولا روح ولا دين ولا إله، وأن الأحياء لا يهلكها إلا الموت، لقد وسوس الشيطان إلى الإنسان بإنكار الخلق والإدعاء الباطل بأزلية العالم وبنسبة كل شيء إلى الطبيعة دون أن يحدد كنه هذه الطبيعة، وجاءت الدراسات المتتابعة لتؤكد أننا نحيا في كون يقدر عمره بأكثر من عشرة مليارات من السنين ، وعلى أرض يقدر عمر تيبس أقدم الصخور فيها بأربعة آلاف وستمائة مليون سنة، والمنطق السوي يؤكد أن كل ما له بداية فلابد حتما وأن تكون له نهاية مما يؤكد حقيقة الخلق. (٣)

أن قانون المادة يقول: أنه لا يوجد فعل دون فاعل ، وبالرغم من ذلك فهم لا يطبقون هذا القانون على الكون، بل يدعون أن الكون خلق دون فاعل ؟!

لذلك توجهنا بكتابنا هذا نخاطب به العقل فاستعنا فيه بأحدث ما وصل إليه العلم،حيث إنه فى كل عصر يكتشف جانباً من عظمة هذا الكون ؛ فالقرآن الكريم يعد معجزة مستمرة إلى قيام الساعة ، ففى كل يوم يكتشف جديداً حتى يظل عطاؤه بلا حدود إلى قيام الساعة .

---

(١)سورة: [الشورى:١١] (٢)سورة: [الأنعام:١٠٢] (٣)تفسير الايات الكونية في القرآن الكريم -زغلول النجار ١/٢٥٤-٢٥٥.

فالعلم ليس غاية في ذاته إنما هو وسيلة ندرك بها ،فنحن لانستطيع أن نحيط بكل آيات الله في الكون ذلك أن آيات الله أكبر من أن يحيط بها بشر مهما كانت قدرته وعلمه، ففى خلق الإنسان آيات، وفي خلق الجبال آيات ، وإذا صعدنا إلى السماء وجدنا آيات، وإذا نزلنا إلى باطن الأرض نجد آيات، بل نجد أسرار في أعماق البحار .

سوف نتناول آيات الله وإبداعه في مخلوقاته، ثم نتوجه بعد ذلك إلى إبداع الله وعظمته في خلق الإنسان.

ونحن اكتفينا بضرب بعض الأمثلة حيث أننا لانستطيع أن نحيط بكل مخلوقات الله، بل اكتفينا ببعض الأمثلة القليلة وإلا فنحن نحتاج إلى مجلدات كبيرة لذلك ولن نحصيها وصدق الله تعالى القائل:

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾[1]

(١) سورة:[النحل ١٨]

كيف نعبد الله دون أن نراه؟

وبعد أن انتهيت من الإجابة على السؤال الأول بادرتنى صديقتي بالسؤال الثانى فقالت لى : كيف نعبد الله دون أن نراه ؟

- **الصنعة تدل على الصانع:**

قلت لصديقتي: أن كنا لا نرى الله فنحن نحس بالله في فطرتنا وقلوبنا، وما نراه أمامنا من إبداع في السموات والأرض وغيرها من مظاهر الكون المختلفة "**فالصنعة تدل على الصانع**" ؛ لأن العدم لايمكن أن يوجد الوجود ، ولأن فاقد الشيء لا يعطيه.

إذن فمن الذي أوجد الليل والنهار والشمس والقمر ؟!

أجيبينى بالله عليك !

فهذا الكون الذي يسير بمنتهى الدقة والنظام الدقيق سواء في خلقه أوإبداعه إلا يدل على الخالق المبدع الحكيم .

❁ **الأثر هو أكبر دليل على وجود المؤثر :**

حينئذ سألتها: هل الهواء موجود ؟ فأجابت :نعم.

فسألتها :ما لونه ؟ فأجابت:لا لون له .

فسألتها :ما جرمه ؟ فأجابت :ليس له جرم.

فقلت لها: ما طعمه ؟ فأجابت :لاطعم له.

فقلت لها : كيف تؤمنين بوجود شيء لا لون له . ولاطعم له ولاجرم له؟

فقالت :ذلك لأننى أحس به .

ثم بادرتها بسؤال آخر فقلت لها: من مكتشف الكهرباء ؟

فأجابت من فورها : أديسون .

فاستدرجتها بسؤال آخر: أخبريني عن شكل الكهرباء، وملمسها ولونها هل يمكنك إمساكها ؟

فوقفت حائرة دون إجابة. فسارعت بتبديد حيرتها.

قلت لها : أنتِ لك روح في جسدك تهبك الحياة ألمستها ؟ أرأيتها؟ أسمعتها ؟ أذقتها؟ أشممتها؟

الجواب طبعا: لا . فبأي وسيلة من وسائل الإدراك تدركين أن لك روحاً في جسدك؟

قالت :بأثرها في إحياء الجسد، إذن فقد عرفت الروح بأثرها ، والروح مخلوق لله ، فكيف تريدين وأنت عاجزة أن تدركي الله سبحانه وتعالى بحواسك، ونحن إذا آمنا بالغيب وهو الله جل جلاله فلابد أن نؤمن بكل ما يخبرنا عنه، وإن كنا لا نراه.

قلت لها : أن عدم رؤيتنا للشيء لا يدل على عدم وجوده ، والأثر هو أكبر دليل على وجود المؤثر وهكذا الله.. لا نراه ، ولا يعني ذلك عدم وجوده بل آثاره هي التي نستدل بها على وجوده .

- **العجز عن إدراك حقيقة الأشياء لا ينفي وجودها:**

فعجزنا عن فهم حقيقة النفس لا ينفي وجودها، وعجزنا عن إدراك حقيقة الضوء لا ينفي وجوده ،كذلك الذات الإلهية نعجز عن فهم وإدراك طبيعتها فلا يعني ذلك أنه لا يوجد خالق ومدبر لهذا الكون" **فالصنعة تدل على الصانع**".[1] فالعجز عن رؤية الإشياء لاينفي وجودها **فالرؤيا تنقسم إلى قسمين:**

الرؤية العينية: أي بالعين .

والرؤية الإيمانية: أي بالقلب وكلاهما مختلف عن الآخر، رؤية العين هي أن يكون الشيء أمامك تراه بعينك وهذه ليست قضية إيمان ، ولكن الرؤية الإيمانية هي أن تؤمن بكل ما لا تدركه الحواس من الأمور الغيبية كأنك تراه وتكون هذه الرؤية

(١) العقائد الإسلامية -السيد سابق٣٤.

أكثر يقينا من رؤية العين لأنها رؤية إيمان ورؤية بصيرة.[١]

فالجراثيم: مثلا موجودة في الكون تؤدى مهمتها منذ بداية الخلق ، وكان الناس يشاهدون آثار الأمراض في أجسادهم من ارتفاع في الحرارة، وحمى وغيرها ، ولا يعرفون السبب فلما ارتقى العلم وأذن الله لخلقه أن يروا هذا الوجود للجراثيم جعل الله العقول قادرة على أن تكتشف المجهر الذي يعطينا الصورة مكبرة؛ لأن العين قدرتها البصرية أقل من أن تدرك هذه المخلوقات الدقيقة ، إن عدم قدرتنا على رؤية أي شيء لا يعنى أنه غير موجود ،ولكن آلة الإدراك وهي البصر عاجزة عن أن تراه لأنه غاية في الصغر فلو حدثنا أحد عن الميكروبات والجراثيم قبل أن نراها رؤية العين هل كنا نصدق.. !.[٢]

- **تصديق الله في كل ما أخبرنا عنه من غيبيات :**

فكل جيل من البشر يعرف شيئاً كان غيباً عن الجيل الذي قبله، وكل جيل يكشف الله له أسرار في الكون لم تكن تعرف في الجيل الذي قبله، وإذا كان هذا الجيل هو جيل الكمبيوتر ؛ فإن الجيل القادم سيكشف الله له من أسرار هذا الكون ما يعطيه علماً يجعل أجهزة الكمبيوتر الحالية من مخلفات الماضى، وهكذا يعطينا الله الدليل المادى على أن ما هو غيب عنا موجود ، فإذا أخبرنا سبحانه وتعالى بغيب لا ننكره ،ولكننا نؤمن بوجوده وبأن قدرتنا الحالية لا تصل إليه ،ولكنها قد تصل إليه فى المستقبل،[٣] وذلك مصداقا لقوله تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[٤]

---

(١) تفسير الشعراوي ٧٤/١.

(٢) تفسير الشعراوي ١٢٤/١-١٢٨.

(٣) الآيات الكونية ودلالتها على وجود الله تعالى- الشعراوي٢٨.

(٤) سورة: [فصلت :٥٣]

وبالرغم مما وصلنا إليه من التقدم العلمى والتكنولوجى فلا يزال العلم عاجزاً أمام كثير من حقائق الكون والطبيعة .

- **حادثة الإسراء والمعراج بين مصدق ومكذب:**

ولنضرب على ذلك مثل بسيط من واقع الحياة حدث بالفعل حادثة (الإسراء والمعراج) فعندما حدث الرسول ﷺ قومه بأنه إسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في وقت قصير لا يتجاوز بضع ساعات انقلب عليه قومه ما بين مكذب ومصدق ، فكيف يقطع هذه المسافة التي يقطعونها في شهور يقطعها هو في بضع ساعات، أما لو عرضنا هذا الحدث على أبناء عصرنا فلن نجد مكذب لها إلا قليل حيث تطورت وسائل المواصلات التي تستطيع أن تنقل الإنسان في بضع ساعات حيث أصبحنا نجد العربة والسفينة والطائرة، بل والصاروخ وسفن الفضاء!

- **إن وجود الله حقيقة لاشك فيها :**

فكل ما في الكون شاهد على هذا الوجود، ومواد الطبيعة وعناصرها تؤكد أن لها خالقاً ومدبراً، فالعالم العلوى وما فيه من أقمار ونجوم وكواكب، والعالم الأرضى وما فيه من إنسان وحيوان ونبات وجماد ما هو إلا آية على وجود الله ، ومظهر تفرده بالخلق فكما لا يتصور العقل أن يوجد شيء بلا موجود ، وكذلك لا توجد صنعة بدون صانع.[1]

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾[2]

---

(١) العقائد الإسلامية -السيد سابق ٣٤.

(٢) سورة: [النمل:٦٠-٦٤]

- **لابد من وجود خالق عظيم ومسيطر ومدبر لهذا الكون :**

فلابد من وجود قوة مسيطرة تدبر أمر هذا الكون، فكيف يسير هذا الكون دون أن يكون له خالق قوى عظيم ومدبر هو الذي خلقه وأبدعه ودبر سائر أموره دون خلل ، فالكون ليس وليد الصدفة بل هناك أحكام وتدبير وخالق عظيم وراء كل حركة وسكنة في الكون فكل شيء يسير بقدر الله وتدبيره.

لقد أعطانا الله تبارك وتعالى من آياته في الكون ما يجعلنا ندرك أن لهذا الكون خالقا وإن كنا لا نراه، فالشمس والقمر والنجوم والأرض والإنسان والحيوان والجماد لايستطيع أحد أن يدعى أنه خلقهم، ولا أحد يمكن أن يدعى أنه خلق نفسه أو غيره ، قال تعالى:

﴿ أَوَ لَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ٦٧﴾[1]

﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾[2]

يتساءل ربنا سبحانه وتعالى أي هل وجدوا من غير خالق ؟ أم خلقوا أنفسهم فلا يحتاجون إلى أحد يخلقهم .

أين هي الصدفة المزعومة؟

فلا يمكن لهذا الكون بهذا النظام الدقيق أن يوجد مصادفة؛لأن المصادفات أحداث غير منظمة،ولو وجد هذا الكون مصادفة لتصادمت الشمس والقمر والنجوم والأرض ولاختل الليل والنهار، ولكن كل ما في الكون من آيات يؤكد لنا أن هناك قوة هائلة هي التي خلقت ونظمت وأبدعت .[3]

---

(١) سورة:[مريم :٦٧]　(٢) سورة:[الطور :٣٥-٣٦]　(٣) تفسير الشعراوي ١/١٢٩.

﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧﴾[1]

- **إن كنا لانرى الله بأعيننا فنحن نراه ببصيرتنا:**

أما أن كنا لا نرى الله ذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد قضى ألا نراه في الدنيا، ومع ذلك نؤمن به فنحن لم نر الله بأعيننا ولكن نراه ببصيرتنا فكل ماحولنا ينطق بوجوده .

- **العجز عن إدراك ذات الله إدراك ،والبحث في ذات الله إشراك:**

إن حقيقة **الذات الإلهية** لا يمكن للعقل معرفتها، ولا نستطيع إدراك كنهها ، والإنسان لم يعط وسائل إدراكها مهما بلغ من العقل ومن الذكاء فهو عاجز وقاصر عن معرفتها، أن ذات الله أكبر من أن تدركها العقول،أو تحيط بها الأفكار ؟!

لقد أظهر الله أفعاله وأخفى ذاته ،فكل الكون آياته فأما ذات الله فهي لاتدرك من قبل أحد من خلق الله جميعاً. فالله سبحانه وتعالى كما وصف ذاته العلية: [2]

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[3]

أما من جهة **الأفعال**، وهي ما يختص بعظمته في الخلق والإبداع والسماء والليل والنهار .....الخ .فهذا ما يمكن الإحاطة ببعض عجائبه .

فهذا الكون لم يصدر من العدم، ولا وجد عن طريق الصدفة بما فيه من دقة متناهية؛ فلابد أن يكون هناك خالق عظيم لكل ما حولنا ولكل ما تدركه عقولنا .

ما الغيب... ؟

هو كل ما غاب عن مدركات الحواس، فالأشياء المحسة التي نراها ونلمسها لا

---

(١) سورة :[المؤمنون:٨٤-٨٧ .

(٢) العقائد الإسلامية -السيد سابق ٣٣.

(٣) سورة: [الشورى:١١]

يختلف فيها أحد ، ولذلك يقال : ليس مع العين أين؛ لأن ما تراه لا تريد عليه دليلاً ، ولكن الغيب لا تدركه الحواس، ومن الأمور الغيبية التي نؤمن بها الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وأن نؤمن بالملائكة وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار وعذاب القبر كل هذه أمور غيبية لا نعلم عنها شيئاً سوى ما أخبرنا بها القرآن الكريم، أو على لسان نبينا ﷺ فما دام الله أخبرنا عنهم فنحن نؤمن بها، وإن كنا لا نراها واستخدمنا في هذا الإيمان الدليل العقلى الذي جعلنا نؤمن بأن لهذا الكون إلهاً وخالقاً .(١)

يقول الله تعالى في محكم تنزيله:

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾(٢)

فكل ما تحت الثرى كان غيباً عنا كان في باطن الأرض، ثم أراد سبحانه وتعالى أن يكشف لنا ما هو غيب عنا ، فكشف لنا ما تحت التراب من بترول وذهب ومعادن وحديد وأشياء نفيسة ومياة جوفية لم نكن نعلم بوجودها ، هذه الكنوز لم تأت من عدم ، أو أحد يستطيع أن يدعى أنه أوجدها، بل كانت موجودة في باطن الأرض لا نعلم عنها شيئاً، ولكنها كانت غيباً لم نكن نعرف بوجودها.

فالله سبحانه وتعالى قد أعطانا من الأدلة المادية ما يؤكد لنا أن ماهو غيب موجود، وأن لم نك ندرك بوجوده ؛فإن حدثنا الله عن اليوم الآخر والحساب والنار لا نقول: أن الله يخاطبنا بما لا نستطيع أن ندركه بعقولنا، ولا نستطيع تصديق ذلك، بل نقول يارب قد أعطيتنا من الدليل الفعلى ما يقرب الفكرة إلى أذهاننا؛ لأنك وضعت في كونك الأدلة المادية التي تثبت أن الغيب واقع موجود. (٣)

---

(١) تفسير الشعراوي ١/١٢٤-١٢٨. (٢) سورة:[طه:٦] (٣) الآيات الكونية ودلالتها على وجود الله تعالى- الشعراوي ٢٨.

- **الإيمان بالغيب من صفات المؤمن:**

فالإيمان يقتضي التصديق بما لا تراه بعينك أو تدركه بحواسك....كذلك من صفات المؤمنين إنهم يؤمنون بالغيب فكيف سنحقق هذا المعنى برؤية الله تعالى ؟

﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾[1]

فالمؤمنون يخافون الله، مع أنهم لا يَروْنه بأعينهم، إنما يَرَوْنَه في آثار صُنْعه، أو بالغيب يعني: الأمور الغيبية التي لا يشاهدونها، لكن أخبرهم الله بها فأصبحت بَعْد إخبار الله كأنها مشهدٌ لهم يروْنَها بأعينهم.[2]

ولذلك كانت أول سورة في القرآن الكريم بعد فاتحة الكتاب تدعو إلى الإيمان بالغيب يقول الله تعالى :

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾[3]

فنحن لم نر الله بعيوننا ولكن نراه بقلوبنا فماذا أقول بعد كل هذا الذي يصرخ بأعلى صوته "**لا إله إلا الله**".

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

- **شهادة الأرواح بوحدانية الله :**

﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[4]

(١) سورة:[الأنبياء:٤٩]

(٢) تفسير الشعراوي١٥/٩٥٦٥.

(٣) سورة:[البقرة:١-٣]

(٤) سورة:[الأعراف:١٧٢]

قلت لصديقي :أن كنا لا نرى الله في الدنيا فلقد أشهد الله جميع خلقه على نفسه ونحن في عالم الذر منذ بداية الخليقة ، ولم يتخلف عن تلك المشاهدة مخلوق ، ولولا هذه المشاهدة لما استطاع إنسان أن يستوعب قضية الإيمان بالغيب،وفي قمتها الإيمان بوجود إله. لماذا...؟

لأن العقل البشرى لايمكنه إدراك مدلول الأسماء المجردة إلا بالرؤية.

فأنت لاتعرف معنى الجبل إلا إذا رأيته أو صعدته، والله سبحانه لم يشاهده إنسان ولا يتسع له عقل ؛ومع ذلك فإنك حين يذكر اسم الله فإنك لاتجد صعوبة في إدراك المعنى ، وأنه تلك القوة الكبرى التي خلقت وأوجدت وأعطت ورزقت ،وحين تعبد الله تحس بالصفاء يملأ قلبك هذا كله يعنى أن الله أشهدنا على نفسه في عالم الذر عند خلق آدم وأننا نعرف أنه موجود وموجد كل شيء وهذا ما نسميه بالفطرة الإيمانية[1] قال الله تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]

- { عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ»}[3]

- **الغريزة الإيمانية تشهد بوجود الله:**

إننا نؤمن بالله بالفطرة ، فكل مولود يولد على الهدى متهيئاً لقبول الإسلام فما من مولود إلا يولد على الفطرة شبيها بالبهيمة تولد مكتملة الأعضاء ولكن الناس

(١) الحياة والموت –الشعراوي ٩.

(٢) سورة:[الروم :٣٠]

(٣) (١٣٨٥)صحيح البخاري - كِتَابُ الجَنَائِزِ -بَابُ مَا قِيلَ فِي أَوْلاَدِ المُشْرِكِينَ.

بعد ولادتها يجدعون أنفها أو أذنها.

فالكفر هو دليل الإيمان؛ لأن معنى الكفر الستر، فالكافر يستر وجود الله بدليل أنه لو تعرض لخطر فإنه يتوجه بقلبه إلى الله يناجيه ويطلب منه المعونة !!

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1]

سوف نستعرض في الصفحات القادمة بإذن الله كيف توصل العلماء واستدلوا على وجود الله قديماً ،ثم نعرض لأراء علماء الغرب المعاصرين، لنجمع بين القديم والحديث بما لايدع مجالاً للشك في قلبك ياصديقتي ولا في قلب من يردد هذه الأقاويل ،كذلك سوف نعرض لعظمة خلق الله في الكائنات الحية ، وعظمة خلق الله في الإنسان.

- **تفكر ساعة خير من عبادة سنة :**

فالإنسان هو الإنسان في كل عصر وأوان وأن تقدم علمياً وتكنولجياً فمازالت هذه الأسئلة تراوده وتحيره،وتبحث لها عن إجابة، لقد أمرنا الله تعالى أن نتفكر في خلق الله، ولا نتفكر في ذات الله . فالتفكر ساعة خير من عبادة سنة .

التدبر في الكون المنظور والتفكر في الكتاب المسطور :

حيث يدعونا الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز إلى النظر في كتابه المنظور في خلق السموات والأرض للتعرف على صفات الله وكماله وتفرده سبحانه بالخلق والإبداع ، بينما في آيات آخرى يدعونا إلى التفكر في خلق الإنسان ،لم يحظر علينا إلا التفكير في

(١) سورة: [الأنعام :٦٤]

ذات الله تعالى لأن ذاته فوق الإدراك.[1]

وقد جاء الأمر في القرآن الكريم دعوة للتأمل في السموات والأرض:

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2]

دعوة التأمل والنظر إلى الإعجاز في خلق الإنسان:

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾[3]

دعوة للتأمل في الإعجاز في النبات وتنوع ألوانه وأصنافه واختلاف طعمه وهو يسقى بماء واحد:

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾[4]

(١) العقائد الإسلامية - السيد سابق٢١.

(٢) سورة:[يونس: ١٠١]

(٣) سورة:[الطارق: ٥]

(٤) سورة:[عبس: ٢٤]

كيف استدل هؤلاء العلماء على وجود الله ؟

- **قصة ورقة التوت:**

سئل الإمام الشافعي: بم عرفت الله ؟ [١]

فقال : "عرفته بورقة التوت"لونها واحد وطعمها واحد؛ فإن أكلتها الغزالة خرج منها المسك، والنعجة خرج منها اللبن، والنحلة خرج منها العسل ، والدودة خرج منها الحرير !!

فالطعام واحد والناتج مختلف فدل ذلك على أن الكون له رب يشكله حسب إرادته".

- **سئل الإمام مالك :بم عرفت الله ؟** [٢]

قال:"باختلاف أصوات وألوان البشر! فهذا أبيض وهذا أسود، ومن العجيب أن البهائم لاتتمايز، فتجد معظم الفراخ مثلاً شكلها واحد، ولكن الإنسان يتمايز في الصوت والشكل .

وذلك حتى يتم معرفة المجرم من البريء، والظالم من المظلوم والعاصى من الطائع، ويتمايز الناس ليستطيعوا العيش .

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [٣]

- **قصة البيضة والكتكوت:**

قيل للإمام أحمد : بم عرفت الله ؟

قال :"بقلعة حصينة متينة لاثغر فيها ولا باب،ظاهرها أبيض كالفضة المذابة، وباطنها أصفر كالذهب الرنان، انشقت فجأة فخرج منها حيوان سميع بصير "، قالوا:

---

(١)، (٢) هذه دعوتنا -عبد اللطيف مشتهري ٦٦-٦٨.

(٣) سورة:[الروم :٢٢]

كيف ؟ قال :"ذلك البيضة ،ألستم معى إنها قلعة متينة حصينة ظاهرها كالفضة البيضاء، وباطنها أصفر كالذهب ؟" قالوا :نعم ، قال : "وليس فيها ثغرة ولا شباك، قالوا: نعم ،قال :"فإذا نضجت بعد ثلاثة أسابيع تنشق فجأة ويخرج منها الكتكوت، أين كان ؟ وكيف كان يعيش ؟ ومن الذي صان عليه حياته وأمنه من العطب حتى خرج سليماً ؟

"ثم قال :"كيف يخرج الكتكوت ؟ قالوا : أحيانا ينقر لنفسه وأحيانا تنقر له أمه فيخرج .

قال :"سواء هذا أم ذاك ، فمن الذي علمه أن رزقه خارج البيضة ؟ولما لم يظل في البيضة ومن الذي ألهمه ، ومن الذي ألهم الأم في الحالة الثانية أن البيضة قد نضجت وإنها إذا كسرتها فسيخرج لها ابن ، ولم يثبت أن الفرخة كسرت بيضة وخرج منها كتكوت أعور أو مجروح نتيجة لنقر الأم ، فمن الذي ألهممها بالمكان والعمق ودقة النقرة التي تنقر بها البيضة ، ثم من الذي ألهم الكتكوت حين خروجه من البيضة أن رزقه في الأرض يلتمسه بمنقاره ،وألهم ابن البقرة بعد ولادته أن رزقه في ضرع أمه لا في الأرض ؟ ... إنه الخالق البارئ المصور.. "!!![1]

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾[2]

- **قصة القارب العجيب:**

قيل للإمام أبي حنيفة بم عرفت الله؟

قال: حين كنت قادماً رأيت في نهر العراق أمراً غريباً ،فقد رأيت ألواحاً خشبية تجمعت فجأة من غير مجمع، ثم صنعت من نفسها سفينة من غير صانع ،ثم

(١) هذه دعوتنا- عبد اللطيف مشتهرى ٦٦-٦٨ .

(٢)سورة:[النمل: ٨٨]

وضع فيها الشراع من غير واضع ،ثم وثقت بالسلع والبضائع من غير شاحن ،ثم سارت تمخر عباب البحر تتفادى كل من قابلها من غير ربان " فقال الملحدون : إنك لمجنون كيف ذلك؟ قال :بعينى رأيتها قالوا:أصنعة بغير صانع ؟قال :إذاحكمتم بجنونى لأنى أدعيت أن السفينة من غير صانع ،فكيف لاأحكم بأنكم مجانين وقد أدعيتم أن هذه السماء بشموسها وكواكبها ،وهذه الأرض بأقطارها وحيوانتها ونباتها وجبالها وجدت من غير خالق "!(١)

- **سئل ابن الجوزى بم عرفت الله ؟**

قال :عندما تأملت تدبير الصانع في سوق رزقى بتسخير السحاب،وإنزال المطر برفق والبذر دفين تحت الأرض كالموتى قد عفن ينتظر نفحة من صور الحياة فإذا أصابته اهتز خضراً، وإذا انقطع عنه الماء مد يد الطلب يستعطى، وأمال رأسه خاضعاً ولبس حلل التغير فهو محتاج إلى ما أنا محتاج إليه من حرارة الشمس ، وبرودة الماء ولطف النسيم .

فسبحان من أرانى فيما يربينى به كيف تربيتى في الأصل...!!!(٢)

- **الفطرة ترشد هذا الرجل البسيط إلى وجود إله :**

سئل بعض الأعراب: **ما الدليل على وجود الرب سبحانه وتعالى ؟**

فقال: أن البعر ليدل على البعير، وإن أثر الأقدام ليدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير !!!(٣)

فيا عجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحدُ
ولله في كل تحريكة وفي كل تسكينة شاهد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

(١) هذه دعوتنا -عبد اللطيف مشتهر ي ٦٦-٦٨.

(٢)صيد الخاطر- أبى الفرج بن الجوزى ٧٧.

(٣)معارج القبول بشرح سلم الوصول –الحافظ الحكمي ١/١١١.

من الإلحاد إلى الإيمان

- **لماذا آمنتم بالله أيها الملحدون ؟**

لقد توجهنا بسؤالنا هذا إلى طائفة من علماء الغرب التي لا تؤمن بوجود إله لهذا الكون، ثم هداهم الله إلى طريقه، فأجابوا مبينين الأسباب العلمية التي دعتهم إلى الإيمان بالله. وصدق الله العظيم القائل :

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[1]

أي ستظل هناك آيات جديدة ،وعطاء جديد من الله سبحانه وتعالى إلى أن تقوم الساعة .[2]

- **سبب إيمان توماس دافيد (أستاذ الكيمياء) بوجود إله:**

قال: إن الماء يلعب دوراً كبيراً في العمليات الحيوية داخل أجسامنا بوصفه مركبا أساسياً من مركبات الدم، وليس الماء هو المادة الوحيدة العجيبة ،فهناك ما لايحصى من المواد ذات الخواص المذهلة التي لا تستطيع عقولنا أو إدراكنا إلا أن تقف منبهرة أمامها فليس وراء ذلك إلا إله حكيم خبير ؛ إنني أرى أكثر من مجرد الخلق والتدبير؛ أنني ألمس محبة الخالق واهتمامه بأمور خلقه.

إن وجود الماء على الحالة السائلة في درجة الحرارة المعتادة يجعل الإنسان يقف ويفكر، فللماء أهمية بالغة تدل على التصميم والتدبير، فالماء يغطى ثلاثة أرباع سطح الأرض وهو بذلك يؤثر تأثيراً بالغاً على الجو السائد ودرجة الحرارة، فلو تجرد الماء من بعض خواصه لظهرت على سطح الأرض تغيرات في درجة الحرارة تؤدى إلى حدوث

---

(١) سورة:[فصلت: ٥٣]

(٢) تفسير الشعراوي١٢/٧١٦٤.

كوارث.

كذلك للماء خواص فريدة تدل على أن مبدع هذا الكون قد رسمه وصممه بما يحقق صالح مخلوقاته، فالماء هو المادة الوحيدة المعروفة التي تقل كثافتها عندما تتجمد، ولهذه الخاصية أهميتها الكبيرة بالنسبة للحياة إذ بسببها يطفو الجليد على سطح الماء عندما يشتد البرد بدلاً من أن يغوص إلى قاع المحيطات والبحيرات والأنهار، فهو يكون تدريجياً كتلة صلبة لاسبيل إلى إخراجها أو إذابتها، ويكون الجليد الذي يطفو على سطح البحر طبقة عازلة تحفظ الماء الذي تحتها في درجة حرارة فوق درجة التجمد ، وبذلك تبقى الأسماك وغيرها من الحيوانات المائية حية، وعندما يأتى الربيع يذوب الجليد بسرعة .[١]

- **سبب إيمان جون وليام كلوتس أستاذ علم الأحياء والفسيولوجيا :**

يقول الكاتب:عندما حاولت أن أكتب في هذا الموضوع جالت بخاطرى حكمتان قديمتان من الحكم المقدسة وهما:

(السموات تشهد بجلال الله، وإحكامهما يدل على بديع صنعه)

يقول الأحمق في نفسه :-ليس هناك إلٰه -إن هذا العالم الذي نعيش فيه قد بلغ من الإتقان ،والتعقيد درجة تجعل من المستحيل أن يكون قد نشأ بمحض المصادفة؛ إنه ملىء بالروائع ،والأمور المعقدة التي تحتاج إلى مدبر والتي لا يمكن نسبتها إلى قدر أعمى،ولا شك أن العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقدة وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله مع إيماننا بوجوده ٠

من العجيب العلاقة بين فراشة اليوكا ونبات اليواكا ..!!

من طرائف هذا الكون العلاقة الموجودة بين فراشة اليوكا ونبات اليواكا ،وهو أحد

---

(١)الله يتجلى في عصر العلم- ترجمة الدمرداش عبد المجيد سرحان ٥٠ .

النباتات الزنبقية فزهرة اليوكا تتدلى إلى أسفل ويكون عضو التأنيث فيها أكثر انخفاضا عن عضو التذكير (السداة) أما المبسم وهو الجزء من الزهرة الذي يتلقى حبوب اللقاح فإنه يكون على شكل الكأس ،وهو موضوع بطريقة يستحيل أن تسقط فيه حبوب اللقاح ،ولابد أن تنتقل هذه الحبوب بواسطة فراشة اليوكا التي تبدأ عملها من مغيب الشمس بقليل فتجمع كمية من حبوب اللقاح من منُكُ الأزهار التي تزورها، وتحفظها في فمها ثم تطير الفراشة إلى نبات آخر من نفس النوع، وتثقب مبيضها بجهاز خاص في مؤخر جسمها ينتهى بطرف مدبب يشبه الأبرة، وينزل منه البيض وتضع الفراشة بيضة أو أكثر ثم تزحف إلى أسفل الزهرة حتى تصل إلى القلم ، وهنالك تترك ما جمعته من حبوب اللقاح على صورة كرة فوق مبسم الزهرة، وينتج عدداً كثيراً من الحبوب يستخدم بعضها طعاماً ليرقة الفراشة ،وينضج بعضها لكى يواصل دورة الحياة .

- **حكمة الله في تدبير شؤون خلقه:**

ونستطيع أن نلمح أدلة أخرى على وجود الله وقدرته في تلك الحالات العديدة التي حاول الإنسان أن يتدخل في توازن الطبيعة أو يعمل على تعديله، فمثلا عندما نزل المهاجرون الأولون أستراليا لم يكن هنالك من الثدييات إلا(الدمجو) وهو كلب برى ،ولما كان هؤلاء المهاجرون قد نزحوا من أوربا فقد تذكروا ما كان يهيء له مصيد الأرانب من فرصة طيبة لممارسة الصيد والرياضة، وفي محاولة لتحسين الطبيعة في أستراليا استورد -توماس أوستين- نحو اثنتى عشر زوجاً من الأرانب وأطلقها هنالك، وكان ذلك في سنة ١٨٥٩ ولم يكن لهذه الأرانب أعداء طبيعيون في أستراليا، ولذلك فقد تكاثرت بصورة مذهلة وزاد عددها زيادة كبيرة فوق ما كان ينتظر ، وكانت النتيجة سيئة للغاية فقد أحدثت الأرانب أضرار بالغة بتلك البلاد حيث قضت على الحشائش والمراعى التي ترعاها الأغنام ،وقد بذلت محاولات عديدة للسيطرة على

الأرانب وبنيت أسوار عبر القارة بلغ امتدادها ٧٠٠٠ ميل ، ومع ذلك ثبت عدم فائدتها فقد استطاعت الأرانب أن تتخطاها ،ثم استخدم نوع من الطعم السام ولكن هذه المحاولة هي الأخرى باءت بالفشل ،ولم يمكن الوصول إلى حل إلا في السنوات الأخيرة، وكان ذلك باستخدام فيروس خاص يسبب مرضاً فتاك لهذه الأرانب.

وقد لايكون هذا هو الحل الأخير فقد أخذنا نسمع أخيراً عن ظهور أرانب حصينة لديها مقاومة كبيرة لهذا المرض في أستراليا ، ومع ذلك فقد أدى انخفاض عدد الأرانب هناك إلى منافع جمة وتحولت مناطق البرارى القاحلة، والجبال المقفرة التي بقيت مجدبة عشرات السنين إلى مروج خضراء يانعة وقد ترتب على ذلك زيادة في الإيراد من صناعة الأغنام وحدها قدرت في سنة ١٩٥٣ بما يبلغ مليون جنية.

ويتجادل الناس حول هذا الموضوع فتختلف وجهات نظرهم فمنهم من يرى أن العمل قد أدى إلى خفض كمية اللحوم التي كانت تعيش عليها الطبقات الفقيرة ، ومنهم من يرى أن هذا العجز سيعوضه تحسين الإنتاج النباتى بعد انخفاض عدد الأرانب .

لقد تحدثنا فيما قبل عن الأدلة على وجود الله، أما الأمثلة الأخيرة التي ذكرناها فإنها تشهد بحكمة الله وتدبيره شؤون خلقه، فالتوازن الذي خلقه الله في سائر مظاهر الطبيعة قد تؤدى أية محاولة للتدخل فيه إلى أضرار بالغة، ولذلك ينبغى للإنسان أن يتريث قبل أن يقدم على أية محاولة لتعديل موازين الطبيعة فذكاء الإنسان أقل من أن يحيط بحكمة الخالق[١] وصدق الله العظيم القائل:

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ

(١)الله يتجلى في عصر العلم- ترجمة الدمرداش عبد المجيد سرحان ٥٢-٥٥ .

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[1]

- **سبب إيمان أندرو كونواى إيفى (عالم فسيولوجى) يقول:**

كما نعلم أن قانون السببية يقول: **(لاتأثير بغير مؤثر)** ومعناه أنه لابد لكل آلة من صانع،ولكل تغيير من محدث،فإذا كان هناك تصميم فلابد أن يكون ورائه مصمم، ولابد أن تكون لذلك المصمم الكونى صفات لانهائية ذلك الخالق البارع هو الله .

هذه هي أراء العلماء الأجانب نقلنها لكم بكل دقة حيث أن المفكرين والعلماء تهرع قلوبهم إلى صانع العالم محبة وغراماً.وكما قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[2]

﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: [3]

على كل من يريد أن يدرك ذاته العلية أن يرفع عينيه ويستخدم عقله في غير تعنت أو تعصب، ويتفكر في خلق السموات والأرض،واختلاف الليل والنهار .

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾[4]

إن فروع العلم كافة تثبت أن هناك إله فهناك نظام معجز يسود هذا الكون يعتمد على القوانين والسنن الكونية الثابتة التي لاتتغير ولا تتبدل فمن الذي سن هذه القوانين ، وأودعها فى كل ذرة من ذرات الوجود ؟من الذي صمم فأبدع ؟وقدر فأحسن كل شيء خلقه؟!

هل خلق كل ذلك من غير خالق أم هم الخالقون ؟

---

(١) سورة:[الروم:٤١]

(٢) سورة:[فاطر : ٢٨]

(٣) سورة:[إبراهيم :١٠]

(٤) سورة:[آل عمران :١٩٠]

أن النظام والدقة والإبداع الذي نلمسه في الكون حينما اتجهت أبصارنا ليشى باليد المدبرة ويدل على أنه من صنع خبير عليم قدير.[١]

- **طفل صغير يفحم عالم كبير:**

وقف العالم الملحد في جمع غفيرفقال: نحن لانؤمن بوجود أي شيء حتى نراه، ولانسلم به حتى نشاهده، وأخذ يضرب من الأمثلة الواهية مستدلاً على ذلك، ثم استطرد فقال: نحن لم نر الله إذن هو غير موجود !!

فقام طفل صغير لم يتجاوز العاشرة بالرد عليه، فاستمع معى ماذا قال له..!!

قال له: ياأستاذ نحن جميعاً لم نر عقلك الذي تفكر به فأنت إذن لا عقل لك،أعاقل أنت أم مجنون؟ فرد العالم:بل عاقل، فسئل الصبى: أين عقلك؟ قال العالم: موجود، قال الصبى: كذلك الله موجود!! فبهت الذي كفر!

(١) الله يتجلى في عصر العلم -الدمرداش عبد المجيد ٩.

ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾[1]

دعوة لكل ذى بصر وبصيرة للتأمل في صفحة الكون الواسعة يخاطب الله بها عقول البشر في كل زمان ومكان ، وكلما تقدم العلم يكشف ما يشاء لمن شاء ، فالله يخاطب كل العقول من العلماء إلى العقول البسيطة ، فالله يخاطب عقولنا لنتفكر بها ؛ فنحن بالعقل ندرك أن هناك خالق مبدع قادر ، فكل ما حولنا ينطق ويشهد أن (**لاإله إلاالله**) .

ذكرهم به طلوع الشمس وغروبها ، وبزوغ القمر وظهور النجوم وتلألؤها في صفحة السماء حينما تشتد ظلمة الليل،وضوء الصباح الباسم وهو يجلى ظلمة الليل الحالك،وزقزقة العصافير وتمايل الأغصان وحفيف الأشجار ، وألوان الأزهار الجميلة التي يعجز عن إبداعها أعظم الفنانين، ونسمات الهواء اللطيفة التي تنعش القلب وتسر الخاطر وخرير المياة صنع من هذا... ؟

لقد بهرنى صنع الله وجمال الكائنات، وحسن الإبداع فقد يعيش الإنسان دهراً، ولا يخطر بباله نعمة الهواء ولا الشمس ولا القمر ولا النجوم ،سبحانك يا الله منحت النعمة ولكنك حجبت أكثر النفوس عن إدراكها والتمتع بجمالها.

شمس مضيئة ،وقمر منير، ونجوم تتلألأ وزرع نضير، وشجر مبهج للنفوس،وأنهار جاريات، وجبال شامخات كل ذلك مكشوف منظور؛ ولكن أكثر الناس لاينظرون ولا يحسون بما فيها من سعادة ولا يبهرهم مابها من جمال.

أجيال تموت وأخرى تتبعها وكلهم ذاهل عما في هذا الكون من العجائب

---

(١) سورة:[يونس :١٠١]

والبدائع،كيف يغفلون عن نعمه وهو لا يغفل عما دق من أمورهم؟ [١] فكيف ينساهم وهم عبيده وهو خالقهم ورازقهم ومدبر أمورهم .

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [٢]

وسنبدأ حديثنا بالكلام عن السموات وما فيها من إعجاز، وما فيها من الأسرار والمعجزات مما تحار منه العقول، نكشف النقاب عما وصل إليه العلم الحديث؛ ولكن هناك آلاف من الأسرار والمعجزات التي يقف العقل أمام تفسيرها عاجزاً "**فما خفى كان أعظم مما ظهر واكتشف**" يوضح ذلك ربنا سبحانه وتعالى فيقول :

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٣]

مما لاشك فيه أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ،يكفيك أن تتحير في مسألة خلقك وتكوينك وأنت مجرد فرد محدود ولك عمر محدد ببداية ونهاية، فما بالك بخلق السموات والأرض التي وجدت من قبلك ،وستسمر من بعدك إلى أن تنشق بأمر الله . [٤]

❀ ٠إعجاز الله ﷻ في خلق السموات السبع:

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾ [٥]

(١)الجواهر في تفسير القران - الجوهري ٢٣.

(٢)سورة:[ابراهيم :٣٢-٣٤]

(٣) سورة:[غافر:٥٧]

(٤)تفسير الشعراوي ١٢/٧١٦٤.

(٥) سورة:[الغاشية:١٧-١٩]

السماء :كل ما علاك فأظلك من سقف ونحوه .[1]

في هذه الاية الكريمة دعوة لكل ذى بصر وبصيرة للتأمل والنظر إلى السماء البديعة المحكمة كيف رفع الله بناءها وأعلى سمكها بدون عمد نراها " أفلا ينظرون إليها كيف رفعت ؟ من ذا رفعها بلا عمد ؟ ونثر فيها النجوم بلا عدد ؟ وجعل فيها هذه البهجة وهذا الجمال وهذاالإيحاء؟ إنهم لم يرفعوها وهي لم ترفع نفسها فلابد لها من رافع ، ولابد لها من مبدع ."[2]

لو نظرنا إلى السماء بعين التأمل لوجدنا لونها الأزرق الصافى الجميل الذي ترتاح له النفس ، بالله عليكم من يستطيع أن يجعل لون كل هذه السماء بدرجة لون واحدة فليس هناك لون غامق وآخر فاتح بل الأعجب من ذلك أن كل يوم لونها هو هو لم يتغير ولم يتبدل ، بيد من هذا !!!

لو سألتك سؤالا فقلت لك:**من خلق السموات والأرض بهذا النظام المحكم الدقيق؟**

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[3]

لن تجد إجابة سوى أن تقول :خلقهما الله سبحانه وتعالى فلا يستطيع أحد مهما أوتى من قوة وعلم أن يدعى أنه أوجدهما، فهو قد ولد فوجد أرضا وسماء وجبالاً وأنهارًا ، وإن مات فستظل هذه الأرض والسماء والجبال والأنهار إلى أن يإذن الله سبحانه وتعالى بفناء هذا العالم .

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾[4]

---

(١) عمدة الحفاظ -السمين الحلبي ٢/٢٢٤.

(٢) في ظلال القران- سيد قطب ٦/٣٨٩٨ .

(٣)سورة:[العنكبوت:٦١]

(٤) سورة:[الحجر:١٦]

حيث يتجلى لنا إعجاز الله ﷻ في خلق السموات السبع ؛ فلونظرنا إليهابعين التأمل لوجدنا مساحة لامتناهية ليس لها بداية أو نهاية ، ولو أمعنا النظر لوجدنا لون السماء الجميل الذي ترتاح إليه النفس ،كذلك لانجد في السماء أي تشققات أو تصدعات ، فالسماء كلها كتلة واحدة ، فهل يتصور أن هذا البناء على كبر مساحته لاتوجد به أي تشققات أو تصدعات؟!

لقد بنى الله سبع سموات محكمة الخلق بديعة، لاتتأثر بمرور العصور والأزمان ولم يحدث يوما ما أن استيقظنا فوجدنا أن جزء من السماء قد انهار أو أحتاج إلى ترميم على طول سنوات عمرنا كما يحدث عندنا نحن البشر عند بناء أي مبنى يتداعى أو تصيبه بعض الانهيارات أو التشققات ، فمن المسلم به أن كل بناء طال عليه العمر يحتاج إلى ترميمات أو إصلاحات، ونحن لا نعقد مقارنة بين خالق الأشياء كلها،والإنسان الضعيف المتهالك حاشانا أن نفعل ذلك، ولكننا نعمل العقل لنتفكر في بديع خلق الله ، فالله يخلق الخلق بإبداع سبحانك يارب ما عبدناك حق عبادتك وما شكرنك حق شكرك .

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣﴾[1]

أبعد كل هذا أيها السادة...أفي الله شك فاطر السموات والأرض ؟! بأي عقل تفكرون!! أين عقولكم أهي سلبت منكم ؟ أين أبصاركم أهي عميت عن الحقيقة؟ أين أسماعكم أصمت عن نداء الحق فلا تستمعون لنداء الله ؟ بل أين قلوبكم أهي أصبحت كالحجارة أم هي أشد قسوة من الحجارة !!.

---

(١)سورة:[الملك :٣]

لو دققنا النظر في خلق السموات وفي الآيات القرآنية التي تحدثت عنها لوجدنا بديع صنع الله فيها حيث يقول الله تعالى:

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾[1]

ولكن ماهذه العمد ؟

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾[2]

يؤكد القرآن الكريم حقيقة رفع السموات بغير عمد يراها الناس، وإبقائها سقفاً مرفوعاً ،وحفظها من الوقوع علينا ومن الزوال إلا بإذن الله .

فكيف رفعت السموات بغير عمد يراها الناس ؟ وهل معنى الآية الكريمة أن السماء لها عمد غير مرئية أم ليس لها عمد على الإطلاق ؟ ولكن ما هذه العمد ؟ هذا ما سوف نفسره في السطور التالية بإذن الله تعالى .

- **الجاذبية وتأثيرها:**

لو طرحت عليك سؤالاً أيها الملحد فبماذا تجيب ! من خلق هذه الجاذبية؟ هل خلقتها السماء لحاجتها إليها لتمسك بأجرامها أن تقع على الارض..؟

أم أن الأرض خلقتها لحاجاتها إليها ليستقر عليها من فوقها..؟ أم هي بنفسها أدركت حاجة السماء والأرض إليها فأوجدت نفسها؟!

أسئلة نتوجه بها إلى من ينكرون وجود الله ،ويرجعون كل ما يحدث في الكون إلى الصدفة...فهل تعلم أيها الملحد...؟!

إن قوة الجاذبية هي التي تمسك بكافة أجرام السماء ولولا هذا الرباط الحاكم الذي أودعه الله تعالى في الأرض وفي أجرام السماء ما كانت الأرض ولا

---

(١) سورة:[لقمان : ١٠].

(٢) سورة:[الرعد:٢]

كانت السماء، ولو زال هذا الرباط لانفرط عقد الكون وانهارت مكوناته.[1]

فالجاذبية هي القوة يسخرها الله لجميع الأجسام لتتجاذب، فالأرض تشدنا نحو مركزها بفعل قوة جاذبيتها ، ولذلك فإننا نحس بالاستقرار على ظهرها ، وبالتالى فهي قرار لنا ، فالأرض هي الكوكب المناسب الذي يمكن أن نعيش عليه.

ماذا لو تخيلت نفسك مرة واحدة وأنت تعيش خارج نطاق الأرض!! فالإنسان يعيش على هذه الأرض منذ آلاف السنين وهو لايشعر بأي فوضى أوعدم استقرار ، فماذا يحدث لو كانت الأرض تتحرك بنا، ولك أن تتخيل معى هذا المعنى الذي أريد أن يصل إليك أيها القارئ الكريم فكلنا قد تعرضنا لزلزال وكان مدة الزلزال دقائق معدودة،فماذا لو كان هذا حال الأرض بصفة مستمرة؟ بالطبع لن يستقر بناء،ولتعطل الإنسان عن ممارسة أي نشاط!!

ناهيك عن حالة الذعر والفوضى التي تسود العالم، والقلق والاضطراب النفسى . فالله سبحانه وتعالى عنده كل شيء بمقدار وبحسبان،فماذا يحدث لو كانت الجاذبية أقل مما هي عليه مثل القمر فإن الإنسان سيطير في الهواء، ولو زادت عما هي عليه لالتصق الإنسان بالأرض ولم يعد قادراً على الحركة،ونحن لا نحس بنعمة الجاذبية إلا عندما نغادر الأرض حيث يشكو رواد الفضاء من انعدام الجاذبية حيث يعانى رواد الفضاء من قلة النوم وصعوبته لأنهم يفقدون الجاذبية مما يجعل رءُوسهم لاتستقر على الفراش .

كذلك يعانون من الغثيان ،وارتفاع الدم إلى أعلى في الجسد بدلا من أسفل.

فلو كنا نعيش على سطح القمر مثلا فإن وزن أحدنا سدس وزنه على الأرض حيث تنعدم الجاذبية حيث نجد أن الرجل الذي يوزن على الأرض ٩٠ كيلو جرام ،سيكون

---

(١) تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم - زغلول النجار١/٣٧٩- ٣٨٢ .

وزنه على القمر ٢٥كيلوجرام .

"وبالرغم من ضآلة قوة الجاذبية في الأرض؛فإن قوة الجاذبية قوة جبارة في السموات حيث الكتل الهائلة التي تتماسك بالرغم من تباعدها بقوى الجذب التي تمسك أجرام السماء، وتمنعها من الانفراط لأن مدبر الكون لم يأذن بعد بانفراطها، وقوى الجاذبية هي القوى غير المرئية التي يعتمد عليها بناء السموات.

فالسموات مرفوعة بأعمدة من شأنها ألا ترى ألا وهي أعمدة الجاذبية التي كشفها العلم بعد نزول القرآن الكريم بأكثر من ألفى عام."[١]

فالأرض كما نعلم تدور حول الشمس ؛ ولكن ما الذي يجعلها تدور حول الشمس ؟ إنها قوة جذب الشمس لها . هذه القوة غير مادية ، فأنت أحيانًا تمسك بمغناطيس تضعه أمام المسمار فإذا فعلت ذلك فإن المسمار يتحرك وبينهم مسافة فارغة .

معنى هذا أنه توجد قوى جذب غير مرئية ، سموها (ساحة المغناطيسية) ، أما من الأسفل فلا يوجد شيء مطلقًا .

هل يوجد في الأرض كلها مهندس يبنى بناءً ابتداء من الطابق الثالث إلى العاشر بدون أعمده... هل هذا ممكن؟؟؟

بل الأعجب من ذلك أن تمشي من تحته وتتحرك حركة كاملة ، أما الكون فهكذا.

فسبحان من خلق فأبدع!!.

❋ ٠إعجاز الله في خلق الشمس:

إبداع الله لانهائى ، وتكرار الإبداع دليل الإبداع ؛ فالشمس تشرق علينا منذ آلاف

---

(١) للكون إله – صبرى الدمرداش بتصرف ٢٨٨.

السنين لم ينقص ضوءها ، ولم تقل حرارتها ، ولم يحدث يومًا لم تشرق فيه الشمس أو تأخرت عن ميعادها . كذلك خلق الله لايمل .[١]

فمن منا لايقف منبهرًا أمام شروق الشمس وغروبها وهي تذوب وتتلاشى في الأفق ومدى تأثير ذلك في النفس .

ولننظر إلى حرارة الشمس وهي لم تنقص ولم تنفذ منذ أن خلق الله الكون ؛ فكل طاقة لابد لها أن تفنى مادتها مع توالى العصور ، أماالشمس فلا تفنى إلا عند قيام الساعة .

فمما لا شك فيه أن طريقة الاحتراق الجارية فيها غير ما نعهده ونألفه وإلا لكفاها ٦٠٠٠ سنة لتحترق وتنفد حرارتها ؛ إن القول بالصدفة في خلق الكون لا يتصوره العقل ولا يؤمن به إنسان إلا إذا فقد عقله بل وراء ذلك الكون خالق عظيم مدبر.[٢]

لوطرحت عليك سؤالا وقلت لك :

ماذا تعرف عن الشمس؟ ماحجمها ؟ وما عمرها ؟ وما مقدار الطاقة التى تصل إلينا منها ؟....بماذا تجيب ؟!

الشمس هي أقرب نجوم السماء إلى الأرض فهي تبعد عنها بمسافة مائة وخمسين مليون كيلو متر ،وهي نجم متوسط الحجم يبلغ قطرها ١٤٠٠٠٠٠ كيلو متر، وحجمها ١٤٢ ألف مليون كيلو متر مكعب، فالشمس عبارة عن فرن نووى عملاق عمره أكثر من عشرة بلالين من السنين.

والشمس تتكون أساساً من غازى الايدروجين والهليوم ، تطلق الشمس من مختلف صور الطاقة ما يقدر بحوالى خمسمائة ألف مليون مليون حصان في كل ثانية

---

(١) باسمك نحيا- عمرو خالد ١١٤ -١١٥.

(٢) العقائد الإسلامية - السيد سابق ٣٩ .

من ثوانى عمرها ، ومجموع ميزانيات دول العالم لا تكفى ثمنا لهذا الكم من الطاقة التي تصل إلينا، وبدون هذه الطاقة الشمسية تستحيل الحياة على كوكبنا لأن كلا من النبات والحيوان والإنسان لايستغنى عنها .[١]

لقد سخر الله لنا الشمس وجعلها تتوافق وتناسب مع احتياجاتنا فلو زادت الطاقة التي تصلنا من الشمس عن القدر الذي يصلنا قليلاً لأحرقتنا ،وأحرقت كل حى على الأرض ولتبخر الماء ، ولو قلت الحرارة قليلاً لتجمد كل حى على وجه الأرض.[٢]

لو تصورنا أن الشمس إنطفأت لغرقت الأرض في ظلام دامس ولهبطت درجة الحرارة فيها إلى ثلاثمائة وخمسين درجة تحت الصفر ولتحولت الأرض إلى قبر جليدى هائل، وانعدام الدفء والنور كافيان لقتل كل مظهر من مظاهر الحياة على سطح الأرض.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ٧١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[٣]

❀ ٠إعجاز الله في أعماق البحار:

إذا تركنا السماء وأسرارها ونزلنا إلى أعماق البحار وجدنا شيئاً عجيباً ! إن الصور التي التقطت للبحار بواسطة الأقمار الصناعية قد أثبتت أن بحار الدنيا ليست موحدة التكوين ،بل هي تختلف في الحرارة والملوحة والكثافة ونسبة الأكسجين حيث نجد كل بحر بلون مختلف عن البحر الآخر، فبعضها أزرق قاتم وبعضها أسود وبعضها

(١) تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم - زغلول النجار١/٣٨٩-٣٩١.

(٢) تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم - زغلول النجار١/٤٢٣ .

(٣) سورة:[القصص:٧١-٧٢]

أصفر، ويرجع ذلك لاختلاف درجات الحرارة في كلا البحرين حيث يظهر خط أبيض رفيع يفصل بين كل بحر ، هذا الخط الذى سماه الله تعالى البرزخ ،وبسبب هذا الخط فلا يبغى أو يطغى بحر على آخر بل كلا له خصائصه .[1]

﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ٢٠﴾[2]

❀ ٠إعجاز الله في خلق الجبال:

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ ﴾:[3]

دعوة لكل ذى بصر وبصيرة للتأمل في خلق الجبال فيقول سبحانه وتعالى أفلا ينظرون إلى الجبال الشاهقة كيف نصبت على الأرض راسخة ، حيث كانت الجبال عند العربى ملجأ وملاذ وأنيس وصاحب ،حيث يتضاءل الإنسان إلى جوارها ويستكين ، والنفس في أحضان الجبل تتجه بطبيعتها إلى الله ، وتشعر إنها أقرب إليه وتبعد عن ضجيج الحياة ، فالجبال هي أوتاد الأرض .[4]

- **فائدة الجبال :**

يقول ابن القيم :ثم تأمّل الحكمة العجيبة في الجبال التي يحسبها الجاهل الغافل فضلة في الأرض لا حاجة إليها؛ وفيها من المنافع ما لا يحصيه إلاّ خالقها وناصبها.

فمن منافعها :أن الثلج يسقط عليها فيبقى في قللها حاصلاً لشراب الناس إلى حين نفاذه، وجعل فيها ليذوب أولاً فأولاً، فتجيء منه السيول الغزيرة وتسيل منه الأنهار والأودية، فينبت في المروج والوِهاد والرُّبا ضروب النبات والفواكه والأدوية التي لا يكون مثلها في السهل والرمل، فلولا الجبال لسقط الثلج على وجه الأرض

(١) الأدلة المادية على وجود الله- الشعراوي ٦٣ . (٢) سورة:[الرحمن :١٩-٢٠] (٣)سورة:[الغاشية:١٧-١٩] (٤)في ظلال القران -سيد قطب ٣٨٩٨/٦.

فانحلّ جملةً وساح دفعةً فعَدِمَ وقت الحاجة إليه،وكان في انحلاله جملة السيول التي تهلك ما مرّت عليه فيضرّ بالناس ضررًا لا يمكن تلافيه ولا دفعة لأذيّته.

ومن منافعها :ما يكون في حصونها وقللها من المغارات والكهوف والمعاقل التي بمنزلة الحصون والقِلاع وهي أيضًا أكنان للناس والحيوان.

ومن منافعها: ما ينحت من أحجارها للأبنية على اختلاف أصنافها.

ومن منافعها: ما يوجد فيها من المعادن على اختلاف أصنافها من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والزبرجد والزمرّد وأضعاف ذلك من أنواع المعادن التي يعجز البشر عن معرفتها.

ومن منافعها:أنها تكون حصونًا من الأعداء يتحرّز فيها عباد الله من أعدائهم كما يحصّنون بالقِلاع، بل تكون أبلغ وأحصن من كثيرٍ من القِلاع والمدن .

ومن منافعها: ما ذكره الله تعالى في كتابه أن جعلها للأرض أوتادًا تثبّتها ورواسي بمنزلة مراسي السفن.

هذا وإذا تأمّلت خلقتها العجيبة البديعة على هذا الوضع وجدتها في غاية المطابقة للحكمة؛ فإنها لو طالت واستدقّت كالحائط لتعذّر الصعود عليها، والانتفاع بها، وسترت عن الناس الشمس والهواء فلم يتمكّنوا من الانتفاع بها، ولو بسطت على وجه الأرض لضيّقت عليهم المزارع والمساكن ولملأت السهل، ولما حصل لهم بها الانتفاع من التحصّن والمغارات والأكنان، ولما سترت عنهم الرياح ولما حجبت السيول، ولو جُعِلَت مستديرة شكل الكرة لم يتمكّنوا من صعودها ولما حصل لهم بها

الانتفاع التامّ. فكان أولى الأشكال والأوضاع بها وأليقها وأوقعها على وفق المصلحة هذا الشكل الذي نُصِبَت عليه. ولقد دعانا الله سبحانه في كتابه إلى النظر فيها وفي كيفية خلقها فقال تعالى :

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾[1]

فخلقها ومنافعها من أكبر الشواهد على قدرة بارِيها وفاطِرها وعلمه وحكمته ووحدانيته؛ هذا مع أنها تسبِّح بحمده وتخشع له وتسجد وتشقق وتهبط من خشيته .. هذا وإنها لتعلم أن لها موعدًا ويومًا تنسف فيها نسفًا، وتصير كالعهن من هوله وعظمه؛ فهي مشفقة من هول ذلك الموعد منتظرة له.[2]

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾[3]

الجبال تخشع وتتصدع عند سماع القرآن فكيف بك أيها الإنسان..؟!!

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[4]

يقول ابن كثير :[5] يقول الله تعالى معظماً لأمر القرآن، ومبيناً علو قدره، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب وتتصدع عند سماعه؛ لما فيه من الوعد الحق، والوعيد الأكيد فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته، لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه، لخشع

(١)سورة:[الغاشية:١٧-١٩] (٢) مفتاح دار السعادة-ابن القيم٢/٦٢٢- ٦٢٨. (٣)سورة:[طـه:١٠٥-١٠٧]

(٤)سورة:[الحشر٢١] (٥) تفسير القرآن العظيم -ابن كثير١٨٥٥ .

وتصدع من خوف الله عز وجل،فكيف يليق بكم يا أيها البشر أن لا تلين قلوبكم، وتخشع وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره، وتدبرتم كتابه.

قال العوفي عن ابن عباس في تفسيرها : لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه، لتصدع وخشع من ثقله، ومن خشية الله، فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع، وكذا قال قتادة وابن جرير.
فإذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته لخشعت وتصدعت من خشيته، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم؟ وقد قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ (١)

فالجبل قسوته مطلوبة لأن هذه مهمته أن يكون وتداً للأرض صلباً قوياً، ولكن هذه القسوة ليست مطلوبة من القلب وليست مهمته..بل أن هناك من الحجارة ما يهبط من خشية الله فكيف بك أيها الإنسان..!!

﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ﴾(٢)

❀ ٠إعجاز الله في خلق الأرض :

فلو نظرنا إلى طبيعة هذه الأرض لوجدنا أن هذه البقعة من الأرض بها رمال ، وهذه البقعة بها طين وهذه الرقعة بها أحجار؛ حيث يتنوع فراش الأرض ، هنا خضرة وبساتين ناضرة ، وهنا صحراء قاحلة، بالله عليكم من الذي أبدع هذا الجمال! .

---

(١)سورة: [الرعد: ٣١]

(٢)سورة:[البقرة: ٧٤]

انْظُرْ لِتِلْكَ الشَّجَرَهْ ذَاتِ الْغُصُونِ النَّضِرَهْ
كَيْفَ نَمَتْ مِنْ حَبَّةٍ وَكَيْفَ صَارَتْ شَجَرَهْ
ابْحَثْ وَقُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يُخْرِجُ مِنْهَا الثَّمَرَهْ ؟!
ذَاكَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي أَنْعُمُهُ مُنْهَمِرَهْ
ذُو حِكْمَةٍ بَالِغَةٍ وَقُدْرَةٍ مُقْتَدِرَهْ
وَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ الَّتِي جَذْوَتُهَا مُسْتَعِرَهْ
فِيهَا ضِيَاءٌ وَبِهَا حَرَارَةٌ مُنْتَشِرَهْ
ابْحَثْ وَقُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يُخْرِجُ مِنْهَا الشَّرَرَهْ؟!
ذَاكَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي أَنْعُمُهُ مُنْهَمِرَهْ
ذُو حِكْمَةٍ بَالِغَةٍ وَقُدْرَةٍ مُقْتَدِرَهْ

بل أسأل نفسك من الذي أوجد الشجرة الخضراء التي يوقد منها النار؟!

إنه من العجيب حقا أن جعل الله سبحانه وتعالى من الشجر الأخضر الرطب ناراً، فقد بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضراً نضراً ذا ثمر وينع، ثم أعاده إلى أن صار حطباً يابساً توقد به النار، كذلك هو فعال لما يشاء، قادر على ما يريد، لايمنعه شيء.(١)

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾(٢)

ومن الذي جعل هذه البذرة تنبت تفاحاً والأخرى برتقالاً بالرغم إنها تسقى بماء واحد؟ إنه الله !

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا

(١) تفسير القرآن العظيم -ابن كثير١٥٧٨.

(٢) سورة:[يس:٨٠]

لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾﴾[1]

- **تصميم الأرض مناسباً لمتطلبات الإنسان :**

ثم تأمل الحكمة البالغة في ليونة الأرض مع يبسها ؛ فإنها لو أفرطت في اللين كالطين لم يستقر عليها بناء ولا حيوان ولا تمكَّنَّا من الانتفاع بها ، ولو أفرطت في اليبس كالحجر والحديد لم يمكن حرثها ولا زرعها ولا شقها ولا فلحها ولا حفر عيونها ولا البناء عليها، فقد نقصت عن يبس الحجارة ، وزادات على ليونة الطين فجأت بتقدير ربها وفاطرها على أحسن ما جاء من الاعتدال بين اللين واليبوسة فتهيأ عليها جميع المصالح.[2]

يقول العلماء إن الأرض هي الكوكب الوحيد الذي جاء تصميمه مناسباً تماماً للحياة المريحة والمستقرة، وحجم الأرض، وكتلتها ، وبعدها عن الشمس وسرعة دورانها حول نفسها ، وحول الشمس مناسب جداً للحياة ،ولو أن حجم الأرض ،أو كتلتها أو بعدها عن الشمس، أو سرعة دورانها كانت أكبر بقليل أو أصغر بقليل لاختلت الحياة على ظهرها .

- **إعجاز الله في خلق الماء :**

ثم انظر إلى الماء الذي تشربه من الذي أنزله من السماء؟لقد خلق لنا الأرض ثلاثة أرباعها ماء، والربع يابس، لأنه جل وعلا يريد أن يوسع رقعة الماء لأن المياه كلما اتسعت رقعتها، كان البخر فيها أسهل وأكثر، لكن لو كانت المياه عميقة ومساحتها قليلة فالبخر يكون على مستوى السطح فقط، وهنا لا يأتي السحاب بما يكفي الخلق من الماء.

---

(١) سورة:[الحجر: ١٩-٢١]

(٢) مفتاح دار السعادة –ابن القيم/ ٦٢٠-٦٢١.

لقد وسع الله سبحانه رقعة الماء كي يتبخر الماء ثم ينعقد كسحب في السماء، ويصادف منطقة باردة لينزل لنا المياه العذبة لنشرب منها، وتشرب أنعامنا، ونسقي الزرع، وكل ذلك من لطف التدبير.[١]

﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ٢٢﴾[٢]

فالله قادر أن يجعله مالحاً أو أن تجف البحار فلا نجد الماء!! تخيل معى لو أن هذا الماء النازل من السماء ماء مالح كيف ستكون الحياة؟!

﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ٦٨ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ٦٩ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ﴾[٣]

من رحمة الله تعالى بعباده أن الأشياء الأساسية التي بها قوام حياتك كالماء والهواء لا أحد يتحكم فيها أبداً .فمن رحمته تعالى أن خزن المياة في الآبار وفي السحاب المحمل بالماء .

تخيل معى لو أن الليل دائم عليك،أو أن النهار دائم ماذا سيحدث للكائنات ؟! تخيلوا الاضطرابات العصبية والاهتزازات العنيفة في الكون بأجمعه.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ٧١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[٤]

---

(١)تفسيرالشعراوى ٦/٣٨٤٤-٣٨٤٥.

(٢) سورة:[الحجر: ٢٢]

(٣)سورة: [الواقعة: ٦٨-٧٠]

(٤)سورة:[القصص :٧١]

ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ

دعوة للتأمل والتفكر في صنع الله

قلت لصديقتي :أن الله قد دعانا أن نتفكر في الكون حيث يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١)

إن الكون كتاب مفتوح جعله الله تبارك وتعالى يدرك بالحواس للتعرف على صنع الله الذي أتقن كلّ شيء، والذي أعطى كل شيء خلقة ثم هدى.

هذا الإبداع الرباني الذي ينطق بعظمة الخالق جل وعلا؛ فلو تفكرت في جزء بسيط من الكون لوجدت كل شيء ينطق ويتحدث "**بلا إله إلا الله**" .

الطيور بأشكالها المتعددة وألوانها الزاهية وأصواتها الشجية ،الأسماك في قاع البحار تشير إلى الصانع والمبدع الذي أحسن كل شيء خلقه، وكيف تعيش في أعماق البحار كيف ترزق ، ونرى ألوانها الزاهية الجميلة التي تتحير منها العقول ولا نجد ما نقول سوى سبحان الله.

الحيوانات وأشكالها المختلفة وألوانها البديعة، بل انظر في نفسك أيها الإنسان وتفكر في خلقك، بل انظر في صفحة السماء العالية وما بها من كواكب ونجوم وشمس مضيئة وقمراً منير، والدقة والأحكام في السيطرة على هذا الكون فلا يفلت شيء من قدرة الله !

هذا الإبداع الرباني الذي ينطق بعظمة الخالق جل وعلا؛ السماء وارتفاعها واتساعها وما فيها من مجرّات دائرة وكواكب نيرة ونجوم زاهرة، والأرض وانبساطها

(١)سورة:[الأنعام٥٠]

وانخفاضها وما فيها من جبال وبحار وثمار وأشجار وأنهار وإنسان وحيوان، تجعل القلب ينطق قبل اللّسان سبحان الله.

﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾(١)

ماذا يقال بعد كل هذه البراهين الساطعة في الكون الصارخة بأعلى صوتها:

﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾(٢)

سوف نتعرف على آيات الله وإبداعه في خلق هذه المخلوقات العجيب والمثير للدهشة و نطرح سؤالاً نحاول أن نبحث له عن إجابة:

- **من علّم هؤلاء؟**

إن يد الله المبدعة التي أبدعت كل شيء واتقنته لتمتد في كل ما حولنا سواء في الطيور أو الحشرات أو الحيوانات أو الأسماك فالكل يعلم لما خلق ؟وكيف يتصرف ويتكيف مع البيئة المحيطة به بل وكيف يتعامل مع هذا الكون ؟وما الوظيفة التي خلق من أجلها ؟وهو يؤمن بوجود إلٰه ويشكره ويسبحه.لقد ساق لنا الله ذلك على لسان الهدهد عندما استنكر على قوم سبأ أن يعبدوا غير الله، ويسجدوا للشمس من دون الله...!!!

- **هدهد يهدى أمة:**

لقد أبدى الهدهد دهشته وتعجبه كيف أن بعض الناس يتنعمون بنعم الله عليهم التي تحوطهم من كل جهه في دنياهم ولكنهم مع ذلك لا يذكرونه ولا يشكرونه على

(١)سورة:[يونس :٣١]

(٢)سورة:[إبراهيم :١٠]

نعمه، بل ربما يكفرون به ويعبدون غيره مثلما فعلت ملكة سبأ..!!

حقيقة نحن أمام طائر يصرخ متألماً حزيناً لماذا لايسجدون لمن يقدر على إخراج المخبوء في السموات والأرض.. ؟ لماذا لايسجدون لمن يعلم السر والعلانية..؟ لماذا لا يسجدون لله وهو الله الواحد الذي لا إله غيره.. ؟

لقد كان الهدهد سبب لهداية أمة بأكملها فأين نحن من هذا الهدهد !!!
وقد يتسأل سائل هل تدرك هذه الكائنات..!! فمن علمها؟!

في الواقع الكون كله يدرك وجود الله ، ويسبح بحمده، ويصلى له فالطير له منطقه، والنمل له فكره وحذره ، وللهدهد تخطيطه وفهمه بل وعمله.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ﴾[1]

يتضح لنا مفهوم الإيجايبية من خلال حكاية هذا الهدهد حيث يتضح لنا عدم استسلامه للأمر الواقع حيث يبرز مفهوم الإيجابية مع الوعى والإدراك والإيمان واستغلال الفرص لتبليغ الرسالة ، ونشر التوحيد مع براعة في حسن الأداء، وجودة العرض، وشجاعة الاعتذر حيث يصور لنا القرآن الكريم نهجه ليكون لنا قدوة، وكيف سار الهدهد بمفرده دون تكليف مسبق من أحد، أو تنفيذ لأمر صادرفكان سبباً لجلب خيراً للقيادة المؤمنة مما أدى إلى دخول أمة كاملة في الإسلام.[2]
فاستمع لما يقول الهدهد: يقول الله تعالى:

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا

(١) سورة: [الأنعام :٣٨]

(٢) تأملات في فقه الدعوة- طلعت عفيفى، وجمال عبد الستار ٧٣ -٧٥.

شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾[1]

هذه الآيات تعطينا نموذجاً فريداً للإيجابية التي تمتع بها هذا الطائر فأهلته لهذه المكانة،وجعلته قدوة لغيره من جميع المخلوقات،وخلد الله ذكره بأن جعل جهده وعمله قرآنا يتلى ويتعبد به إلى يوم القيامة.

فياترى...**ماذا فعل الهدهد ليخلد ذكره في القرآن الكريم؟**

خرج في رحلته فلاحظ وهو يسبح في الفضاء شيئا يلفت النظر ويخالف عقيدته، بل ويخالف الفطرة التي عليها نشأ فياترى ماذا رأى... ؟!

لقد رأى قوما يعبدون الشمس بدلا من الإله العظيم الذي خلق كل شيء فلم يكتف الهدهد بالإنكار الداخلي ،كما رفض أن يلتزم الصمت حيال هذه الجريمة الشنيعة!

- **إيجابية الهدهد:**

من الملفت للنظر أن الهدهد لم يكن مكلفاً بهذا الأمر بل أنه تحرك بذاتية مطلقة لم يقل إني هدهد ماذا أفعل ؟ولا أنا ضعيف ماذا أقدم؟ ولم يقل مالي ولهذا الأمر لست مكلفا به، ولكنها الإيجابية المطلقة التي أهلته لأن يقف أمام سيدنا سليمان عليه السلام الملك النبي بكل ما أوتي من قوة وما وهبه الله له من ملك

(١) سورة: [النمل:٢٢-٢٦]

لا ينبغى لأحدا من بعده موقفاً رائعاً، وهو الهدهد الطائر الضعيف فأين هو من ملك سيدنا سليمان، وماحشر له من جنود من الطير والإنس والجن يعملون له ما يشاء،وينفذون أوامره بمنتهى الدقة وهم رهن إشارة منه ،فأين الهدهد الضعيف من هذا الحشد الهائل !!

ولكنها العلم والإيجابية في معالجة الأمور والبذل والعطاء في سبيل الدعوة لدين الله هذا هو الذي أهل الهدهد لأن يرتقى المرتقى الصعب، ويقول بجرأة منقطعة النظير لسيدنا سليمان عليه السلام قال الله تعالى:

﴿ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[1]

لقد عرض القضية كلها لسيدنا سليمان عليه السلام ،ثم بين الأسباب التي أوصلتهم إلى هذا المنحدر الخطير فاستمع لما يقول قال الله تعالى: [2]

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[3]

فأخذ يتعجب من هذا التردى العقلى، والانتكاس الفكرى.

ألا تستحى من نفسك أيها الجاحد الملحد إنك لم تصل إلى مرتبة هذا الهدهد، وهذه أمثلة قليلة نسوقها لتقول لنا أيها الملحد **من علم هؤلاء؟!**

✾ ١٠انظر إلى النحل !!

يتميز مجتمع النحل بأنه مجتمع منظم ودقيق ،حيث تتوزع فيه الاختصاصات والمسئوليات والمهام في عيش جماعى تكافلى رائع، والنحل له قدرة هائلة على الطيران

---

(١) سورة:[النمل:٢٢]

(٢) تأملات فى فقه الدعوة- طلعت عفيفى، وجمال عبد الستار ٧٣ -٧٥.

(٣) سورة:[النمل:٢٤]

بسرعات فائقة تجنى الرحيق وحبوب اللقاح من أزهار النباتات المختلفة، لقد منحها الله القدرة على تحويل ذلك في بطونها إلى شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس .

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۚ﴾(١)

ولكن ما الشراب المختلف ألوانه ؟

وجد العلماء أن أهم أنواع الشراب الخارج من بطون النحل هو (غذاء الملكات– الشمع -العسل –حبوب اللقاح- سم النحل)وكلها يخرج من بطون الشغالات من إناث النحل في حالة سائلة (شراب) ثم يتجمد أو يتبلور ، ولقد جاءت الإشارة القرآنية بدقة فائقة:(٢)

﴿ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ﴾(٣)

ويتضح لنا الإعجاز العلمى في الآية الكريمة فهي إشارة إلى إناث النحل ، كذلك من معانيها تمكن الشغالات من العودة إلى خلاياها بعد أن أكلت من كل الثمرات، وحملت رحيق الأزهار، وحبوب اللقاح، ثم عادت إلى خلاياها دون أن تضل ثم تحويلها هذا إلى شراب فيه شفاء للناس ،وهي حقائق لم يبدأ الإنسان في التعرف عليها إلا بعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادى، وهذه الحقائق لم تكن معروفة في زمن الوحى ، وجمعها هذا النص المعجز لما يقطع بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق .

بيوت النحل:

يبنى النحل بيوته على أشكال سداسية ،حيث يتميز الشكل السداسي عن غيره

---

(١) سورة:[النحل:٦٨-٦٩] (٢) تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم-زغلول النجار٥١٢-٥١٦ . (٣) سورة: [النحل: ٦٩]

بأنه يتيح له بناء أكبر عدد ممكن من البيوت في مساحة محدودة ،وإذا حدث وهاجم الخلية فأراً مثلاً بحثاً عن العسل اللذيذ لدغته النحلة الحارسة ومات على الفور، ثم يحاط هذا الفأر بمادة صمغية لزجة تجمعها شغالات النحل من براعم بعض النباتات حتى لا يتعفن وذلك قبل إلقائه إلى خارج الخلية .[١]

﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [٢]

فهل تعلم عزيزي القارئ أن الله سبحانه وتعالى زود تلك الحشرة بحواس متطورة للبصر والشم والتذوق، وبأجهزة خاصة لتقدير المسافات والاتجاهات والأزمنة بواسطة ما يعرف بالساعة الحيوية.

لقد زود الله سبحانه وتعالى النحل بثلاثة عيون بسيطة ،وزوج من العيون المركبة، وتتكون كل عين منها من ٦٣٠٠ عدسة صغيرة متجانسة مما يسمح للنحلة الرؤية من مسافات بعيدة ومرتفعات شاهقة .

كذلك زود الله تعالى شغالات النحل بزوجين من الأجنحة موزعين على جانبي جسمها ،وبفم قارض لاعق، وبعدد من قرون الاستشعار التي تتصل كل منها بعصب حسي دقيق ، وبمراكز لكل من اللمس والشم ،ويبلغ عدد المراكز الحسية على قرن الاستشعار الواحد منها ما يصل إلى نحو الألفين وأربعمائة مركز كل هذه التجهيزات أعانت إناث النحل على جمع أكبر عدد ممكن من رحيق الأزهار.[٣]

من علمها؟!

من علمها أن ترقص حتى تعرف النحلات الباقيات بعد الأزهار عن النحلة ؟ وما نوع الرقصة..!! ؟؟ ومن علم الملكة أنها سوف تلد ذكراً أو أنثى...!!؟.

---

(١) تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم-زغلول النجار ٤٩٥-٤٩٩.

(٢)سورة: [ألأعلى :٣]

(٣)تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم-زغلول النجار١/٥٠٦ .

يتضح مما سبق عرضه أن النحل هو أمة منظمة ومسيرة لمعرفة خليتها وبيتها دون خطأ ؛ فهناك من الشغالات من إناث النحل المستكشفات فهن يغادرن الخلية للبحث عن الأزهار ،ثم يعدن لإخبار بقية الشغالات عن أمكنة وجود تلك الزهور، وعن أنواعها وأنواع ما تحمله من الرحيق ،[١]

وتحدد لها الموقع بدقة فائقة ويتجمع حولها الشغالات وتدور النحلة حول نفسها عدد محدد من الدورات،وبزاوية محددة من ناحية قرص الشمس ، وقد حاول العلماء وضع الخلايا على مسافات محددة من مصدر الرحيق فلاحظوا أن تغير مكان الرحيق يترتب عليه تغير دوران النحلة حول نفسها، بل وتغير في سرعة الدوران.

- **كل ميسر لما خلق له:**

هل تعلم عزيزي القارئ أن النحلة تتميز بالجد والنشاط والمثابرة فهي لا تكف عن العمل الدؤوب،وهي مع ذلك تتحلى بالصبر فهي تقوم بأربعمائة رحلة خلال أسبوعين من أجل صنع ٧جرامات من العسل يبلغ مدى هذه الرحلات حوالى ٨٠٠ كيلو متراً، وذلك لأن كيس العسل في الشغالة من إناث النحل لايتسع إلا لنحو خمسين مليجرام من الرحيق، ويستغرق ملؤه بالرحيق قرابة الساعة تزور خلالها الشغالة ما يقرب من مائة زهرة، وبذلك تقطع آلاف الكيلو مترات ذهاباً وإياباً أي أن كيلو العسل الواحد يتكون من رحلة تزيد عن مليون و٤٠٠ كيلومتراً، علما بأن سرعتها تبلغ ١١ كيلو متراً في الساعة ،فهل تعلم أن الرحلة التي يقطعها النحل من أجل كيلو واحد من العسل اللذيذ تساوى محيط الكرة الأرضية ٦مرات!![٢]

إلا ترى معى عزيزي القارئ عظيم صنع الله، فانظر لكى تحصل على كيلو جرام

---

(١)تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم- زغلول النجار١/ ٤٠٥.

(٢)عجائب الخلق في عالم الحشرات_ إسماعيل الجاويش ١٢.

واحد من العسل كيف تعب النحل ليصل إليك..!!!والمسافة التي قطعها ،وكيف سخر لنا الله هذه الحشرات لخدمتنا ، ألا يستحق هذا الإله العظيم أن نخر له ساجدين شاكرين حامدين له على نعمه الكثيرة .

❀ ٠ نقار الخشب :

نقارالخشب طائر قوى يعمل منقاره كأداة خرق للخشب وعضلات رقبته قوية شديدة ، وجمجمة رأسه سميكة ومرنة على شكل سلك شائك،ومغطى بمادة لزجة يلتقط به الحشرات، وله أرجل قصيرة قوية، لا تشبه الأرجل النحيلة لمعظم الطيور فأرجله مثل الكماشة تتعلق بمتانة بلحاء الشجر.(١)

وهو طائر يعيش على الدود الموجود ضمن أشجار الصنوبر ، والغريب أن له منقاراً يزيد عن اثنتى عشر سنتيمتر ، يقف هذا الطائر على جذع الشجرة ويثقب الجذع حتى يصل إلى الدودة التي تقع داخل الجذع ويأكلها ، فهل عنده إشعة ليزر أو إشعة تحت الحمراء ليعرف مكان الدودة ؟ فسبحان من هدى كل مخلوق إلى ما يصلحه .

❀٠وتأمل السمك السالمون !!

يولد في البرك والمستنقعات بجانب الأنهار في أمريكا الشمالية ثم يبدأ في النمو وترعاه الأم لمدة سنة ،ويهاجر لشواطئ أمريكا الشمالية في رحلة تصل إلى ٣٢٠٠ كم إلى أن يصل نفس المكان الذى ولد فيه فيبقى هناك حتى يلد جيلاًجديداً ثم يعود مرة أخرى إلى شواطئ أوربا .(٢)

(١)عجائب المخلوقات وغرائب الكائنات بتصرف -منصور بن محمد بن فهد -٢٤.

(٢) باسمك نحيا- عمرو خالد ٢٧٩.

❋ ٠تفكر في ثعبان الماء :

هناك لغز أصعب يتطلب الحل، وهو الخاص بثعابين الماء فمتي اكتمل نموها هاجرت من أوربا قاطعة آلاف الأميال قاصدة جنوبى برمودا حيث تبيض هناك ثم تموت، والعجيب أن صغارها التي لا تملك وسيلة لتعرف بها أي شيء تعود أدراجها حيث تقاوم التيارات القوية، وتغالب الأمواج المتلاطمة حتى إذا اكتمل نموها دفعها قانون خفى إلى الرجوع حيث كانت بعد أن تتم الرحلة كلها.

فمن أين نشأ الحافز الذي يوجهها لذلك؟ ولم يحدث قط أن صيد ثعبان ماء أمريكى في المياة الأوربية، أو صيد ثعبان ماء أوربى في المياة الأمريكية.[1] .

❋ ٠انظر إلى الأخطبوط :-

إن أنواع الأخطبوط كثيرة وعديدة المعروف منها حوالى تسعين نوعا، وهو يعيش منفرداً إذا كان بالغا إما إذا كان صغيراً فيعيش مجتمعاً بعضه مع بعض ، وهو يسكن إما في شقوق بعض الصخور أو تحت الحجارة الكبيرة مختفياً عن عيون أعدائه، ويتميز الأخطبوط بأن له عينان كبيرتان جاحظتان ،كذلك فقد حباه الله في أذرعه ممصات صغيرة يلتصق بها ما يمسك به من فرائس التصاقاً شديداً، قد تكون في صفين ويبلغ عددها أحيانا ألفى ممص.

كيف يدافع عن نفسه وقت الخطر؟

يمتلك الأخطبوط كيس فيه مادة سوداء كالحبر فعندما يهاجمه أحد أعدائه يفرزها فيسود الماء فهذه هي وسيلة الدفاع التي حباه الله بها ليختفى عن عيون أعدائه حتى لا تفترسه وصدق الله العظيم القائل في كتابه العزيز:

---

(١) في ظلال القرآن- سيد قطب ٦/٣٨٨٥-٣٨٨٦.

﴿ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾[1]

فقدر لكل مخلوق حياته، وهيأ له طعامه الذي يناسبه وجهزه بوسائل يدافع بها عند الخطر.

إن هذه الأمم من الحيوانات أمم أمثالنا تدرأ عن نفسها السوء بطرق تناسبها ألهمها الله أياها كما نفعل نحن بجيوشنا، فها هو الأخطبوط قد أعطى مادة كالحبر هذه المادة بسوادها تضل عدوها أن ينالها بسوء سبحانك يا الله!

﴿ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[2]

فهذا الحبر للحيوان حصن وقلعة ودرع وصيانة، وللإنسان مداد (حبر) به يسجل العلماء علومهم فجل الله جل جلاله. [3]

❀ ٠وتأمل البعوضة وعظم خلقها !!

تأمل عظيم صنعها وكيف أن لها جهاز هضمي وإدراك واحساس وكيف تهتدى إلى طعامها ؟!

إن في رأس البعوضة مائة عين، وفي صدرها ثلاثة قلوب قلب مركزى، وقلب لكل جناح. إن البعوضة تمتلك أجهزة لاتملكها كبرى المستشفيات ؛فهي تملك جهاز رادار سماه العلماء "جهاز استقبال حرارى" وهو يعمل مثل نظام الأشعة تحت الحمراء وظيفته : أنه يعكس لها لون الجلد البشري في الظلمة إلى لون بنفسجي حتى تراه،فهي لاترى الأشياء بأشكالها ولا بأحجامها ولا بألوانها ،ولكن تراها بحرارتها.

فلو أن بعوضة وجدت في غرفة مظلمة لا يرى فيها إلا الإنسان النائم تتجه إليه فهي تستدل عليه بحرارته .

---

(١) سورة :[الأعلى: ٣] (٢) سورة:[طه: ٥٠] (٣) الجواهر في تفسير القرآن- الجوهري ٢٥/ ٤٤-٤٦.

ما الأجهزة التي تمتلكها البعوضة ؟ وكم قلب لها ؟

والبعوضة تملك "**جهازاً لتحليل الدم**" فما كل دم يناسبها ؛فقد ينام شخصان وفي الصباح تجد جبين أحدهما مليئاً بلسعات البعوض ،أما الثانى :فلا تجد أثراً للسع البعوض عليه .

والبعوضة تمتلك "**جهازاً للتخدير**" فلو إنها غرست خرطومها في جلد النائم لاستدل عليها وقتلها في الحال ،ولكنها تخدر موضع لسعها ،وحينما يزول أثر التخدير يشعر النائم بألم اللسع في حين إن البعوضة تطير في جو الغرفة تضحك عليه!!.

ولأن لزوجة الدم لا يمكن أن تسرى في خرطومها الدقيق فهى تملك "**جهازاً لتمييع الدم**" الذي تمتصه من الإنسان حتى يتيسر له المرور عبر خرطومها الدقيق، وللبعوضة خرطوم فيه ست سكاكين أربع سكاكين تحدث في جلد الملدوغ جرحاً مربعاً ولابد أن يصل الجرح إلى وعاء دموى ، والسكينتان الخامسة والسادسة تلتقيان لتشكلا أنبوباً لامتصاص دم الملدوغ .

وفي أرجل البعوضة مخالب إذا أرادت أن تقف على سطح خشن ، ولها محاجم إذا أرادات أن تقف على سطح أملس.

ومن العجيب أن البعوضة مزودة بجهاز للشم تستطيع من خلاله شم رائحة عـرق الإنسان من مسافة تصل الى ٦٠ كليومتر.

بل والأغرب من هذا كله أن العلم الحديث اكتشف أن فوق ظهر البعوضة تعيش حشرة صغيرة جداً لا تُرى الا بالعين المجهرية[١]

وصدق الله القائل في كتابه العزيز:

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾[٢]

---

(١) عجائب المخلوقات وغرائب الكائنات -منصور بن محمد بن فهد ٧٣-٧٤ بتصرف.

(٢) سورة:[البقرة :٢٦]

إن البعوضة ليست أقل شأنا من الحوت الأزرق الذي يبلغ وزنه أكثر من مائة وخمسين طناً، ويستهلك وليده في الرضعة الواحدة ثلاثمائة كيلو حليب حيث تعادل ثلاث رضعات من الحليب يومياً طناً واحداً ،وإذا أراد الحوت أن يأكل أكلة متوسطة يملأ بها معدته يأكل أربعة أطنان من السمك .

❀. انظر إلى الذبابة!!

وكيف أن لها جهاز هضمي مثل الفيل فكما صنع الله أكبر الأشياء خلق أدق الأشياء "**فالصنعة تدل على الصانع** ".فلو اجتمع علماء الدنيا جميعا ليخلقوا ذبابة واحدة فلن يستطيعوا. فهذا خلق الله!

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾(١)

ما معنى الاستلاب؟

الاستلاب في اللغة : هو الاختلاس ، والسلب هو نزع الشيء من الغير على سبيل القهر، يقول الدكتور زغلول النجار وفي استخدام القرآن الكريم :

﴿يَسْلُبْهُمُ﴾ ومضة معجزة لأن الذباب يختلس ما يأخذه من أشربة،وأطعمة الناس اختلاساً وينزعها منهم قهراً لعجزهم عن مقاومته، ويساعد الذبابة على هذه القدرة الفائقة أنها بمجرد أن تحط على الطعام فإن راقها سلبت منه ما تستطيع وهربت بسرعة تماما كما يفعل اللصوص .

(١) سورة:[الحج:٧٣]

لقد كشف العلم الحديث إن الطالب لا يمكنه استنقاذ ما سلبته الذبابة ؛ لابسبب العجز في الآلات المستخدمة ، ولكن لأن الطعام الذي دخل في جوف الذبابة لم يعد نفسه هو الذي أكلته ، والعجز يأتى من أن الطعام وحتى قبل دخوله إلى ماصة فم الذبابة طرأ عليه التغير؛ فلهذا السبب لا يمكن أن نستنقذه فلو أراد العلماء أخذ الطعام من فم الذبابة ولو من بداية دخوله خرطومها فإن ذلك لن يجدى شيئاً لأن الطعام قد تحول إلى مركبات مختلفة تماماً حتى قبل امتصاصه لذلك لا يستنقذوه منه .

فإن كان ما امتصته شراباً سائلاً سلبت قطرة منه بواسطة خرطومها وأوصلتها فورا إلى جهازها الهضمى المزود بالقدرة على إفراز الخمائر القادرة على هضمه ،وتمثيله تمثيلا كاملاً في ثوان معدودة الذي يمتصها ويحولها إلى جهازه الدورى ومنها إلى مختلف خلاياه .

وبذلك لا يمكن استنفاذه منها أما إذا كان الطعام صلباً ،صب عليه من لعابه وإنزيمات معدته والعصائر الهاضمة فيفككها فورا ويذيبها أي يهضمها قبل أن يمتصها ويوصلها مهضومة إلى جهازها الهضمى ومنها إلى جهازها الدورى ثم إلى مختلف خلايا جسم الذبابة، حيث يتحول جزء من هذا الطعام إلى طاقة، ويتحول جزء آخر إلى مكونات الخلايا والأنسجة، وإلى عدد من المركبات العضوية التي يستخدمها الجسم ويتحول الباقى إلى فضلات ،وبذلك لا يمكن استنفاذه بأي حال من الأحوال. هذه الحقائق التي لم يصل إليها علم الإنسان إلا في القرن العشرين وورودها في كتاب الله بهذه الإشارات الدقيقية المحكمة الموجزة بما يشهد للقرآن الكريم أنه لا يمكن أن يكون صناعة بشر بل هو كلام الله الخالق العظيم .

- **عظيم خلق الله في الذبابة :**

تعد هذه الحشرة أعجوبة في الخلق هذا المخلوق الضعيف الذي يتكاثر بسرعة جنونية.

هل تعلم عزيزي القارئ أن الذبابة تستطيع صنع مضادات حيوية تكسبها مناعة ضد أي مادة ترش عليها !

هل تعلم عزيزي القارئ أن في إحدى جناحى هذه الحشرة داء ، وفي الأخرى شفاء ،لقد أكد العلم الحديث أن في بعض جناحى الذبابة مادة ترياقية مضادة للجراثيم ولأنواع الميكروبات .

قال بعض العلماء: من وظائف هذه الحشرة أنها تنقى الهواء بقضائها على النباتات، والعضويات المتفسخة. هذه الحشرة التي قد تزدريها وتنظر إليها بعين الاحتقار هل رأيت عظيم خلق الله فيها؟! وبديع صنعه !

﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١)

هل تعلم عزيزي القارئ ؟! أن بجسم الذبابة ما يزيد عن أكثر من مليون خلية عصبية مسئولة عن تحركات هذه الحشرة العجيبة، لقد وهب الله هذه الحشرة القدرة الفائقة على المناورة حيث زودها الله بجناحان ملتصقان مباشرة في الصدر بواسطة غشاء رقيق جداً وهذين الجناحين يخفقان مائتى خفقة في الثانية، تستطيع أن تتحرك بهما لمسافة ميل كامل ، وينتشر على تلك الأجنحة شعيرات حساسة جداً لقياس ضغط الهواء ، واتجاه الرياح.

وبعين الذبابة عينان مركبتان لا يزيد حجم الواحدة منهما على نصف المليمتر المكعب، وتتكون كل عين منهما من ستة آلاف عينية سداسية لها القدرة على الرؤية

(١)سورة:[النحل: ١٧]

في جميع الاتجاهات، وكل واحدة من هذه العينيات مرتبطة مع ثمانية أعصاب مستقبلة للضوء ، اثنان منها للألوان، وستة متخصصة في ضبط تحركات الذبابة لأنها تكشف كل شيء في المجال البصرى لها، وبذلك يكون مجموع الخيوط العصبية في العين الواحدة من عينى الذبابة ما يقدر ب٤٨ ألف خيط عصبى يمكنها من معالجة أكثر من مائة صورة في الثانية الواحدة ، هذا بالإضافة إلى مليون خلية عصبية متخصصة بالتحكم في حركة الذبابة من أعلى إلى أسفل وبالعكس، ومن الأمام إلى الخلف وبالعكس كل ذلك يعين الذبابة على الانقضاض على الطعام والشراب.

ولولا التوازن الدقيق الذي وضعه ربنا تبارك وتعالى لغطت جيوش الذباب سطح الأرض بالكامل .

فهل تعلم عزيزي القارئ أن الذبابة تضع نحو ٤٠٠ بيضة في المرة الواحدة! فلو قدر الله لهذا البيض أن يفقس لنتج عن الزوج الواحد من الذباب خلال فصل واحد من فصول السنة ما تعداده يفوق الرقم عشرة مسبوقاً بستين صفراً، ولكن الله رحيم حكيم فهو يسلط بعض الطيور والنمل الذي يتخذه غذاء له .[١]

❀ ٠تأمل وتفكر في النمل :

مجتمع النمل مجتمع منظم له نظام دقيق لا يعرف الكلل ولا اليأس ، يحب العمل والمثابرة ،حيث يقوم هذا المجتمع بجمع المواد الغذائية وحملها وتخزينها.

تقوم الشغالات ببناء المستعمرة ،وشق الطرقات المؤدية إليها ، ونظافتها وتهويتها وصيانتها وحراستها والدفاع عنها، كما تجمع الطعام وتخزنه،فإذا عجزت أحدى النمل عن حمل ما جمعته في فمها لكبر حجمها حركته بأرجلها الخلفية ، ورفعته بذراعيها

(١) تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم-زغلول النجار ١٨٤/٢-١٨٨.

يتضح ذكاء الشغالات حيث أنه من عاداتها أن تفلق الحبوب قبل تخزينها حتى لاتعود إلى الإنبات مرة أخرى،وكذلك تجزئ البذور الكبيرة لكى يسهل عليها إدخالها في مستعمراتها، وإذا ما ابتلت بفعل المطر اخرجتها إلى الهواء والشمس لتجف.

تقوم على مستعمرة النمل ملكة واحدة ، أو عدة ملكات بحسب حجم المستعمرة، أما لو تسألنا عن وظيفة الملكة فهي مهمتها وضع البيض .

- **فائدة النمل :**

وقد يتسأل سائل ما فائدة النمل ؟ هل تعلم عزيزي القارئ أن النمل يقضى على بلايين الحشرات سنوياً التي لو تركت لدمرت الكساء الخضرى للأرض، فهذه الحشرة الصغيرة تلعب دوراً كبيراً في عملية الاتزان البيئى للأرض، بالإضافة إلى ذلك فإن النمل بحفرها المستمر في الأرض يقوم بتهوية التربة وتسميدها وتعقيمها وتطهيرها من العديد من الآفات، وبحركتها في وسط النبات تقوم بدور تلقيح بعض الزهور، ونشر عدد من البذور عبر مساحات متباعدة من الأرض.

- **لغة النمل :**

إن لأمة النمل لغات خاصة يتحدث بها ، يتضح ذلك من خلال نصيحة النملة لرفاقها فلقد سمعها نبى الله سليمان عليه السلام وفهم لغتها .

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾[1]

إن من أحدث ما كتب عن النمل يؤكد أن هذه الحشرة التي يتراوح طول الفرد من أفراداها بين المليمتر الواحد والسبعة مليمترات، ولا يتعدى حجم مخها حبة الملح، لها

---

(١) سورة:[النمل :١٨]

خلايا عصبية ،وأعصاب لتقدير المعلومات وخرائط تهتدى بها إلى مواقع الغذاء، وإلى مساكنها.

يفرز النمل رائحة خاصة لطلب المساعدة من الأخطار ، ويفرز رائحة خاصة مغايرة عندما تكون الأخطار شديدة وقاتلة للابتعاد عن مكان الخطر حرصا على بقية أفراد المجموعة، فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

لقد أكد القرآن الكريم والسنة الطهرة أن أمة النمل كغيرها مفطورة على الإيمان بالله تعالى وحده رباً وفاطراً ومعبوداً ورزَّاقاً بغير شريك وعلى عبادته وتقديسه وتسبيحه .

الطير سبحه والوحش مجده والموج كبره والحوت ناجاه
والنمل تحت الصخور الصم قدسه والنحل يهتف حمداً في خلاياه
الناس يعصونه جهراً فيسترهم والعبد ينسى وربي ليس ينساه

- **ذكاء النمل:**

يتضح ذلك من دقة تنظيم مجتمعاته، وتوزيع العمل بين أفراده وبناء أعشاشه وبيوته ،وتنظيم المخارج والمداخل، والمهارة في اصطياد وجمع طعامه وحسن تجهيزه وتخزينه وصيانته ورعايته ، وقدرته على زراعة بعض النباتات مثل الفطر وحمايتها من الميكروبات بإفراز العديد من المضادات الحيوية ، وقدرته على التعايش في توازن، وتكامل وتكافل مع العديد من حشرات مثل المن والخنافس .[1]

٠ الثعلب :

«... من علَّم الثعلبَ إذا اشتد به الجوعُ أن يستلقي على ظهره، ويختلس نَفَسه إلى داخل

(١)تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم-زغلول النجار بتصرف ٢/ ٣٦٩- ٣٧٥.

بدنه حتى ينتفخ فيظنّ الظانّ أنه مَيْتةٌ، فيقع عليه، فيثب على من انقضى عمره منها.

ومَن علَّمه إذا أصابه صدع أو جرح أن يأتي إلى صبغ معروف، فيأخذ منه ويضعه على جرحه كالمرهم.[1]

الثعلب ينام بإحدى مقلتيه ويتقي بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

هذه نماذج من هدايته عز وجل للعجماوات إلى ما فيه مصالحها وبقاؤها وحفظها؛ وذلك مصداقا لقوله تعالى:

﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[2]

- **حكاية الذئب الذي لبس ثياب الوعاظ:**

والشيء بالشيء يذكر نذكر هذه القصة الطريفة التي رواها لنا حبينا ﷺحدث النبي ﷺ أصحابه واعظا إياهم بذكر قصة،حاصلها أن ذئباً عدا على غنم أحد الرعاة ، فأمسك بإحداها وساقها أمامه ، لكنّ الراعي استطاع أن يلحق بالذئب ويُنقذ شاته ، فجلس الذئب غير بعيدٍ عن الراعي ثم قال : " استنقذتها مني ، فمن لها يوم السبْع ؟ "، وهو يوم يأتي في آخر الزمان ، حين تقع الفتن ويكثر البلاء ، فيذهل الناس عن مصالح دنياهم ، وتُترك الأنعام هملاً لا راعي لها ، فتعدو عليها الذئاب والسباع ، وهذا هو المقصود بـــ :" يوم لا راعي لها غيري " .

-{قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "بَيْنَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ، عَدَا عَلَيْهِ الذِّئْبُ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ فَقَالَ لَهُ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي؟ " فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِنِّي أُومِنُ بِذَلِكَ، أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»}[3]

---

(١) مفتاح دار السعادة -ابن القيم- ٢/٦٩٣ .

(٢)سورة:[طه:٥٠]

(٣)(٢٣٨٨) صحيح مسلم -كتاب فضائل الصحابة -باب فضل أبي بكر الصديق.

❀ ٠تأمل في خلق الإبل:

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ (١)

أي أفلاينظر هؤلاء الناس نظرة تفكر واعتبار إلى الإبل وجمالها كيف خلقها الله خلقاً عجيباً بديعاً ، مما يدل على قدرة خالقها؟! .

إن في خلق الإبل مايشهد لله بالألوهية والربوبية والوحدانية، فقد خلقها الله خلقاً عجيباً بقوة قوائمها ويُسْر بُروكها لتيسير حمل الأمتعة عليها ، وجَعَل أعناقها طويلة قوية ليمكنها النهوض بما عليها من الأثقال بعد تحميلها أو بعد استراحتها في المنازل والمبارك ، فالجمل هو سفينة الصحراء فهو يتحمل الجوع والعطش ،حيث جعل في بطونها أمعاء تختزن الطعام والماء بحيث تصبر على العطش إلى عشرة أيام في السير في المفاوز مما يَهلك فيما دونه غيرها من الحيوان .(٢) قال تعالى:

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾ (٣)

فهو حيوان العربي الأول ، عليه يسافر ويحمل ، ومنها يشرب ويأكل ، ومن أوبارها وجلودها يلبس ، وهي على ضخامتها ذلول يقودها الصغير، ويحمل عليها الثقيل ، كما إنها قليلة التكاليف، "**فكل ميسر لما خلق له**"فهي متناسقة مع بنيتها ووظيفتها ولنعرض لبعض الصفات الجسدية التي لا يسعنا عندما نتأملها إلا أن نقول سبحان الذي خلق فأحسن !!

---

(١) سورة: [الغاشية:١٧] (٢) التحرير والتنوير –ابن عاشور ٣٠/٣٠٥. (٣) سورة:[الزخرف:١٢- ١٣].

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [1]

١.ضخامة الجسم وارتفاع القوائم وطول العنق يمكن الجمل من سرعة الحركة ، واتساع مجال الرؤية ومن اختزان كميات كبيرة من الماء والغذاء والدهون والطاقة تعينه على احتمال الجوع والعطش لفترات لايقوى عليها حيوان آخر .

٢.لرأس الجمل أنف ذو منخارين أعطاها الله تعالى القدرة على الانغلاق كلياً تحاشياً لرمال الصحراء العاصفة ، وله أهداب تقيه من هبوب العواصف الرملية ، ولفم الجمل شفتان عريضتان ، العليا منهما مشقوقة حتى تمكنه من تناول الأعشاب الشوكية دون أن تؤذيه .

٣.له أذنان صغيرتان عليهما شعر كثيف لوقايته من الرمال العاصفة ، وقد أعطاهما القدرة على الانثناء للخلف والالتصاق بجانبي الرأس لمنع دخول الرمال فيهما .

٤.أقدام الجمل منبسطة على هيئة الخف المكون من نسيج دهني سميك يعين الجمل على السير فوق الرمال الناعمة .

٥.ذيل الجمل محاط بشعر كثيف يحمي أجزاء جسده الخلفية من كل أذى خاصة من الرياح العاصفة المحملة بالرمال .

٦.طول سيقانه تبعده عن التأثر بحرارة الأرض ، وارتفاع سنامه يبعد غالبية جسده عن التأثر بحرارة الشمس ، والجمل يتحمل الجوع الشديد ، فلو أنك حرمت الجمل الطعام أمداً طويلاً فإنه يهضم الطعام الذي كان قد أكله ، وقد ركب الله في ظهره مستودعاً غذائياً يكفيه عشرات الأيام ، بل ما يعادل الشهر في ذلك السنام .

٧.جعل الله سبحانه وتعالى جلده غليظاً جداً، قليل المرونة قادراً على تحمل العواصف الحارة المحملة بالرمال عند هبوبها، وعلى مقاومة لسعات الحشرات، ويغطيه وبر سميك يدفئ جسم الجمل في الشتاء ، ويحميه من حرارة الشمس الحارقة في الصيف

---

(١) سورة: [الزمر : ٦٧]

خاصة ، فيعكس حرارته بلونه الفاتح ، وجلد الجمل يمتاز بقلة انتشار الغدد العرقية فيه مما يقلل من فقدان مخزونه المائى عن طريق العرق[١] .

يقول ابن القيم :«تأمل الحكم البالغة في إعطائه سبحانه بهيمة الأنعام الأسماع والأبصار، ليتم تناولها لمصالحها ويُكمِل انتفاع الإنسان بها؛ إذ لو كانت عمياء أو صمّاء لم يتمكّن من الانتفاع بها، ثم سلبها العقول على كبر خلقها التي للإنسان ليتمّ تسخيره إيّاها، فيقودها ويصرفها حيث شاء؛ ولو أُعطيت العقول على كبر خلقها لامتنعت من طاعته، واستعصت عليه، ولم تكن مسخّرة له.

فأُعطيت من التمييز والإدراك ما تتمّ به مصلحتها ومصلحة مَن ذلك له، وسُلِبت من الذِّهن والعقل ما ميّز به عليها الإنسان وليظهِر أيضًا فضيلة التمييز والاختصاص.

ثم تأمّل كيف قادها وذلّلها على كبر أجسامها،ولم يكن يطيقها لولا تسخيره؛ قال الله تعالى:

﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ٧١ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ٧٢ وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ﴾ [٢]

فترى البعير على عظم خلقته يقوده الصبي الصغير ذليلاً منقادًا؛ ولو أُرسِل عليه لسوّاه بالأرض، ولفصله عضوًا عضوًا؛ فسَلْ المعطِّل من الذي ذلّله وسخّره وقاده على قوَّته لبشر ضعيف من أضعف المخلوقات؛ وفرَّغ بذلك التسخير النوع الإنساني لمصالح معاشه ومعاده؛ فإنه لو كان يُزاول من الأعمال والأحمال ما يزاول الحيوان لشغل بذلك عن كثيرٍ من الأعمال؛ لأنه كان يحتاج إلى مكان الجمل الواحد إلى عدّة

(١) تفسير الآيات الكونية - زغلول النجار ٤/٤٥٢.
(٢) سورة:[يس:٧١-٧٢]

أناسي يحملون أثقاله وحمله، ويعجزون عن ذلك، وكان ذلك يستفرغ أوقاتهم ويصدّهم عن مصالحهم، فأعينوا بهذه الحيوانات،مع ما لهم فيها من المنافع التي لا يحصيها إلاّ الله من الغذاء والشراب والدواء واللباس والأمتعة والآلات والأواني والركوب والحرث والمنافع الكثيرة والجَمَال.[1]

وإذا ترى الثعبان ينفث سمه فاسأله من ذا بالسموم حشاك ؟
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت شهدًا وقل للشهد من حلاكا ؟
بل سائل اللبن المصفى كان بين دم وفرث ما الذي صفاكا ؟
قل للهواء تحسه الأيدى ويخفى عن عيون الناس من أخفاكا ؟
قل للنبات يجف بعد تعهد ورعاية : من بالجفاف رماكا ؟
وإذا رأيت النبت في الصحراء يربو وحده فاسأله : من أرباكا ؟
وإذا رأيت النار شب لهيبها فاسأل لهيب النار من أوراكا ؟

(١) مفتاح دار السعادة- ابن القيم٢/٦٦٥-٦٦٦.

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[1]

"إن خلق الإنسان على هذه الصورة الجميلة السوية المعتدلة أمر يستحق التدبر والشكر العميق لربه الكريم، فقد كان الله قادراً أن يركبه في أية صورة أخرى يشاؤها ولكنه اختار له هذه الصورة السوية المعتدلة الجميلة .

إن الإنسان ليقف حائراً مدهوشاً أمام عجائب تكوين الإنسان الجسدى من الجهاز الهضمى والعظمى والدموى والتنفسى والتناسلى ، إن الإنسان لمخلوق جميل التكوين ، وإن عجائب الإبداع في خلقه لأضخم من إدراكه، إن الجمال والاعتدال ليبدو في تكوينه الجسدى والعقلى والروحى . [2]

❁ ·أطوار الجنين :

لقد جاء القرآن الكريم بوصف دقيق لأطوار لجنين منذ أربعة عشر قرنا، وجاءت الأبحاث العلمية الحديثة لتؤكد صحة ما جاء به القرآن الكريم بل إنّ الوصف القرآني جاء دقيقاً لتسلسل خلق الإنسان في بطن أمّه بما يبهر العقول وبما لا يدع مجالاً لأحد من المتشكّكين برسالة الإسلام أن يطعن في القرآن الكريم من بعد أن يرى آيات الله سبحانه النّاطقة بالحقّ المبين والدّليل القويم.

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾[3]

بدأت الآيات الكريمة بالتحدث عن المرحلة الأولى لخلق الإنسان وهي:

---

(١)سورة:[الذاريات٢١] (٢) في ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٤٨/٦. (٣) سورة:[المؤمنون:١٢-١٤]

- **مرحلة الطين:**

فحينما أراد الله عزّ وجلّ خلق سيّدنا آدم عليه السّلام خلقه من طّين ، والطّين هو عبارة عن التّراب الذي خلط مع الماء، فالإنسان إذن مخلوق من عنصرين هما التّراب والماء الذين باجتماعهما يتشكّل الطّين، وعندما يجف الطّين ويتماسك يميل إلى السّواد وهو الحمأ المسنون، ثمّ يصبح صلصال كالفخار، وهذه هي النّشأة الأولى التي أنشأ الله تعالى آدم عليها، وعندما حلل العلماء الطين وجدوه يتكون من ثمانية عشر عنصراً منها الحديد والبوتاسيوم والماغنسيوم وغير ذلك من العناصر ، وعندما حللوا جسم الإنسان وجدوه يتكون من نفس هذه المواد الثمانية عشر التي يتكون منها الطين. المرحلة الثّانية من الخلق وهي:

- **مرحلةالنطفة:**

فقد جعل الله تعالى نسل بني آدم وذريّته يخلقون من نطفة من ماءٍ مهين، وهذا لا يعني أنّهم ليسوا من تراب، ذلك بأنّ التّراب والطّين هو أصل الخلقة ولكن سنّة الله تعالى اقتضت أن يكون نسل ابن آدم من النّطفة، والنّطفة هي التي تتشكّل من اجتماع نطفتي الرّجل مع المرأة حيث تنشأ البويضة المخصّبة التي تبدأ بالانقسام مكوّنه مجموعة من الخلايا التي تستقر أخيراً في جدار الرّحم لتبدأ المرحلة الثّانية من الخلق وهي العلقة.

- **القرار المكين:**

والمقصود به رحم الأم.

- **أما طور العلقة:**

فنترك البروفيسور الكندى (كيث. ل. مور) ليحدثنا عنها يقول الدكتور: إن الجنين عندما يبدأ في النمو في بطن أمه يكون شكله يشبه العلقة أو الدودة ومن الغريب أن

العلقة عند العرب تعنى الدم المتجمد ،لقد ذهل البرروفيسور عندما علم ذلك، وقال إن ما ذكر في القرآن الكريم ليس وصف دقيقاً لشكل الجنين الخارجى فقط، ولكنه وصف دقيق لتكوينه ذلك أن مرحلة العلقة تكون دماء محبوسة في العروق الدقيقة في شكل الدم المتجمد. ثم يحدثنا عن طور:

- **المضغة المخلّقة وغير المخلّقة:**

فيقول البروفيسور :عندما عرضت صورة الأشعة المأخوذة للجنين في مرحلة المضغة أظهرت صورة الأشعة للجنين أن في مرحلة المضغة تتحوّل العلقة إلى مضغة تشبه الشّيء الذي يمضع،حيث يتضح أن فيها تجويفاً تتشبه علامات الأسنان ، بل أن الله سبحانه وتعالى قد أوضح هذا الطور من مراحل تكون الجنين بقوله تعالى :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ﴾(١)

وعندما جئ بالمضغة من بطن الأم و كان طولها سنتمتر واحد ، وتم تشريحها تحت الميكروسكوب وكانت المفاجأة عندما وجد أن بعض أجهزة الجنين تكون في البداية غير مخلّقة ثمّ تبدأ علامات التّمايز بين أجزاء الجسد بالظّهور فتظهر العينين والاذنين وغير ذلك.

---

(١)سورة:[الحج: ٥]

- **مرحلة العظام:**

حيث تتحوّل المضغة بأمر الله تعالى إلى هيكل عظمي ثمّ ليكسى بأمر الله تعالى وقدرته لحماً.

لقد عرض العالم الكندى كل أطوار الجنين في بطن أمه التي التقطت بأحدث الأجهزة العلمية فإذا هي تنطبق تماما على كل ما ذكر في القرآن الكريم من مراحل تكوين العظام واللحم إلى غير ذلك، ولما قيل للدكتور هل كان من الممكن أن يعرف الرسولﷺ منذ أربعة عشر قرناً كل هذه التفصيلات عن أطوار الجنين قال: مستحيل. لأنه ببساطة شديدة أن العالم كله في ذلك الوقت لم يكن يعرف أن الجنين يخلق أطوارا.[1]

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ :[2]

فالله تعالى يقول للإنسان :انظر إلى دقة تكوينك انظر إلى أصلك هل يعقل أن هذا الماء المهين هو وحده أصبح إنساناً سوياً .

جاء في الأثر :

يا ابن آدم : ما أنصفتنى خلقتك ولم تك شيئا، وجعلتك بشراً سوياً ،خلقتك من سلالة من طين فجعلتك نطفة في قرار مكين، ثم خلقت النطفة علقة، فخلقت العلقة مضغة ،فخلقت المضغة عظاماً فكسوت العظام لحماً ثم أنشأتك خلقا آخر .

يا ابن آدم : هل يقدر على ذلك غيرى ، ثم خففت ثقلك على أمك حتى لا تتبرم بك، ولاتتأذى ثم أوحيت إلى الأمعاء أن اتسعى، وإلى الجوارح أن تفرقى، فاتسعت الأمعاء من بعد ضيقها ، وتفرقت الجوارح من بعد تشبكها ، ثم أوحيت إلى الملك

(١) الآيات الكونية ودلالتها على وجود الله تعالى-الشعراوي ٤٢-٤٣.

(٢) سورة:[الانفطار:٧]

الموكل بالأرحام أن يخرجك من بطن أمك ، فأستخلصك علي ريشة من جناحه ، فاطلعت عليك فإذا أنت خلقت ضعيف ليس لك سن يقطع، ولا ضرس يطحن فاستخلصت لك في صدر أمك عرقا يدر لبناً بارداً في الصيف ، حاراً في الشتاء، واستخلصته لك من بين جلد ولحم ودم وعروق، ثم قذفت في قلب والداك الرحمة ،وفي قلب أمك التحنن، فهما يكدان عليك ويجهدان ويربيانك ويغذيانك ولا ينامان حتى ينومانك.

يا ابن آدم :أنا فعلت ذلك بك لا لشيء استأهلت به مني، ولا لحاجة استعنت بك على قضائها.

يا ابن آدم :فلما قطع سنك وطحن ضرسك أطعمتك فاكهة الصيف في أوانها ، وفاكهة الشتاء في أوانها فلما أن عرفت أني ربك عصيتني ،فادعني فإني قريب مجيب، واستغفرني فإني غفور رحيم .[1]

يأيها الماء المهين من الذي سواكا ومن الذي في ظلمة الأحشاء قد والاكا ؟
ومن الذي تعصى ويغفر دائماً ومن الذي تنسى ولا ينساكا ؟
يا أيها الإنسان مهلاً ما الذي بالله جل جلاله أغراكا ؟

﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾[2]

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم ، وصوره فأحسن صورته انظر إلى عينيك ، انظر إلى حواسك الخمس ، انظر إلى أعضائك انظر إلى كمال خلقك ، هذا من تكريم الله لك، بل انظر إلى هذا القوام الفريد، وهذا التناسق بين الأعضاء، وهذه المرونة في حركة كل عضو...وهذه المرونة والتكيّف في حركة الأعضاء بعضها مع بعض.. وهذا التناسق في العمل بين العقل والجسد.. والروح.

---

(١)حلية الأولياء –أبو نعيم ٣٩٩/١٠من قول محمد بن كعب القرظى قال قرأت في التوراة ، أوقال في صحف إبراهيم الخليل .

(٢) سورة:[التين: ٤]

فلقد أوجدك الله من العدم فجعلك سوياً سالم الأعضاء تسمع وتعقل وتبصر وتتحرك في أي مكان شئت، ولنقف وقفة طويلة مع هذه الآية العظيمة!!

فهل تعلم عزيزي القارئ أن جسد الإنسان يفقد في كل ثانية من عمره حوالى ١٢٥ مليون خلية في المتوسط ، ويتجدد غيرها في الحال مع بقاء الإنسان هو هو بذاكرته وعواطفه ومشاعره وطموحه فسبحان الله !!.[١]

إن في خلق الإنسان معجزات كثيرة منها مثلا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر:

- **العقل البشرى :**

الذي ميز الله سبحانه وتعالى به سيدنا آدم عليه السلام وذريته من بعده الذي بإمكانه أن يستوعب من المعلومات بعدد ذرات الكون !!

فهل تعلم عزيزي القارئ إن أكبر العباقرة لم يستخدم من دماغه إلا جزءاً يسير !

فلو أرادت أن تخلق عقلاً إلكترونياً يضاهى قوة العقل البشرى فإنك تحتاج إلى أضعاف مساحة الكرة الأرضية ليقوم لك بوظائف العقل البشرى من تذكر وإبداع ونطق وبيان إلى آخره من المعجزات ولا يستطيع أن يؤدى مهامه ، ولكن عندما تلقى نظرة تأمل على هذا العقل والمساحة المحدودة الموجود بها تجد ألف مليون خلية تعمل وتهاجم وتدافع ، لكى تعين الفرد على النطق والبيان والتعلم والتذكر والحفظ والإبداع والاختراع ، وتعينه على الإحساس والتحرك والسمع والبصر .

- **خلقت من طين ولكن تكوينى عجيب !**

هل تعلم أن هناك ثلاثة الألف شعيرة تتذوق الطعام، وتقول للإنسان هذا حلو وهذا مر ، وإذا اقترب جسدك من شيء ساخن صرخت٣٠ ألف خلية في مخك تصرخ احترس

(١) تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم - زغلول النجار ٥٦١/١.

هذه نار! إلى آخر الإعجاز في الخلق . [1]

- **انظر إلى العظام :**

" نعم خلقت من طين ولكن تكويني عجيب...!!!!

انظر إلى **العظام** وتركيبها ،والعمود الفقرى وتناسقه ، تجد كل عظمة موضوعه في مكانها المناسب لتفى بالغرض الذي خلقت وصممت من أجله .

"لقد اقتضى التدبير والعناية الإلهية أن يكون الظهر محكما بعظام صلبة وهنا نطرح سؤالاً ... لماذا لا تكون تلك الفقرات كلها عظماً واحداً ؟

والجواب إنها لو كانت عظماً واحداً لكانت إذا أصابها أي آفة تعطل الظهر كله، أن هذا التدبير ليوحى بأن وراءه يد مدبرة وحكيمة تضع كل شيء في مكانه المناسب." [2].

بل انظر أيها الإنسان كيف قسم الله تلك الأجزاء المتشابهة المتساوية إلى الأعصاب، والعظام والعروق والأوتار واليابس والليّن وبين ذلك؟ ثم كيف ربط بعضها ببعض أقوى رباط وأشدّه وأبعده عن الانحلال؟ وكيف كساها لحمًا ركّبه عليها وجعله وعاءً لها وغشاءً وحافِظًا ، وجعلها حاملة له مُقيمة له؟

ففكر الآن لو أردت النهوض كم عضلة تنقبض وتنبسط ؟ فكل عظمة لها شكل معين وحجم معين وفي مكان معين وتؤدى وظيفة محددة ،وتختلف العظام من حيث الطول والقصر والقوة والضعف والثقل والخفة.

فعظمة المخ:

مثلاً قوية لتحمى المخ فهي أصلب العظام وأخفها في الوقت ذاته، فلو كانت ثقيلة لأصبحت رأس الإنسان ثقيلة ولما استطاع حملها ، وكذلك القفص الصدرى عبارة

(١) الله والنفس البشرية-الشعراوي بتصرف٥٧.

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم- للجوهري ٩٢/٢٥بتصرف.

عن مجموعة من العظام التي تحمى القلب والرئتين وإلا أصبح تعرض الإنسان للموت كبيراً من أقل ضربة .

فتكوين يديك ومفاصلك يسمح لك بالاعتدال والإمساك بالأشياء، فلقد خلقك الله في أحسن صورة . وصدق الله العظيم القائل :

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1]

"ثم انظر الحكمة البالغة في تركيب العظام قوامًا للبدن وعِمادًا له، وكيف قدّرها ربّها وخالقها بتقادير مختلفة، وأشكال مختلفة ! فمنها الصغير والكبير والطويل والقصير والمنحني والمستدير والدقيق والعريض والمصمت والمجوّف، وكيف ركب بعضها في بعض؟ وكيف اختلفت أشكالها باختلاف منافعها كالأضراس فإنها لما كانت آلة للطّحن جُعِلَت عريضة، ولما كانت الأسنان آلة للقطع جعلت مستدقّة محدّدة؟

- **انظر إلى المفاصل:**

ولما كان الإنسان محتاجًا إلى الحركة بجملة بدنه وببعض أعضائه للتردّد في حاجته لم يجعل عظامه عظمًا واحدًا، بل عظامًا متعدّدة، وجعل بينها مفاصل حتى تتيسّر بها الحركة، وكيف قدر كلّ واحدٍ منها وشكله على حسب الحركة المطلوبة منه، وكيف شدّ أسْر تلك المفاصل والأعضاء وربط بعضها ببعض بأوتار ورِباطات، فإذا أراد العبد أن يحرّك جزء من بدنه لم يمتنع عليه، ولولا المفاصل لتعذّر ذلك عليه.

انظر إلى الأذن:

ثم اقتضت حكمة الربّ الخالق سبحانه أن جعل ماء الأُذن مُرّاً في غاية المرارة، فلا تقترب منه الحشرات والهوام بل إذا وصل إلى باطن الأُذُن أعمل الحيلة في رجوعه،

---

(١) سورة: [التين: ٤]

وجعل ماء العينين ملحًا ليحفظها؛ فكانت ملوحة مائها صيانةً لها وحِفظًا لها من الفساد.

- **انظر إلى الفم:**

وجعل ماء الفم عذبًا حُلوًا ليُدرك به طعوم الأشياء على ما هي عليه وأودع فيه حاسة الذوق والكلام، وآلات الطحن والقطع ما يُبهِر العقول عجائبه؛فأودعه اللسان الذي هو أحد آياته الدّاله عليه، وجعله ترجمانًا لملك الأعضاء مبيِّنًا مؤدّيًا عنه، كما جعل الأُذن رسولاً مؤدّيًا مُبلِّغًا إليه؛ فهي رسوله وبريده الذي يؤدّي إليه الأخبار، واللسان بريده ورسوله الذي يؤدّي عنه ما يريد.

- **انظر إلى الأسنان:**

ثم زيّن سبحانه الفم بما فيه من الأسنان التي هنّ جمال له وزينة، وبهما قوام العبد وغذاؤه، وجعل بعضها للطحن، وبعضها آلة للقطع، فأحكم أُصولها، وحدّد رءوسها، وبيّض لونها،ورتّب صفوفها متساوية الرءوس متناسقة الترتيب كأنها الدّر المنظوم بياضًا وصفاءً وحُسْنًا."[1]

- **انظر إلى يديك :**

"وكذلك خلقه سبحانه لليدين اللتين هما آلة العبد، وعرّض الكفّ ليتمكّن به من القبض والبَسْط،مما أعطاهما القدرةعلى التحكم بهما في كثير من الأمور مثل الكتابة والرسم وتناول الأشياء بدقة، وتحمل عليها كل ما تريد، وقسم فيه الأصابع الخمس، وقسم كل إصبع بثلاث أنامل، والإبهام باثنتين،ووضع الأصابع الأربعة في جانب والإبهام في جانب، لتدوّرالإبهام على الجميع فجاءت على أحسن وضع صَلُحَت بـه

---

(١) مفتاح دار السعادة -ابن القيم (٢/٥٤١-٥٤٢-٥٤٤-٥٤٦-٥٤٧) .

للقبض والبسط ومباشرة الأعمال. فلو كانت متساوية الأطوال لانتفى الغرض منها، وخلق الأظافر لتلتقط بها الأشياء الدقيقة .

وانظر كيف كسا العظام العريضة كعظام الظهر والرأس كسوة من اللحم تناسبها،والعظام الدقيقة كسوة تناسبها كالأصابع، والمتوسطة كذلك كعظام الذراعين والعضدين؛ فهو مركّب على ثلاثمائة وستين عظمًا: مائتان وثمانية وأربعون مفاصل ، فلو زادت عظمًا واحدًا لكان مضرّة على الإنسان يحتاج إلى قلعه، ولو نقصت عظمًا واحدًا كان نقصانًا يحتاج إلى جبر.

- **انظر إلى قلبك :**

فأما القلب فهو الملك المستعمل لجميع آلات البدن والمستخدم لها؛ ، وهو أشرف أعضاء البدن وبه قوام الحياة، وهو منبع الروح الحيواني والحرارة الغريزية، وهو معدن العقل والعلم والحلم والشجاعة والكرم والصبر والاحتمال والحبّ والإرادة والرضا والغضب، وسائر صفات الكمال؛ فجميع الأعضاء الظاهرة والباطنة وقواها إنما هي جند من أجناد القلب؛ فإن العين طليعته ورائده الذي يكشف له المرئيات؛ فإن رأت شيئًا أدّته إليه، ولشدّة الارتباط الذي بينها وبينه إذا استقر فيه شيء ظهر فيها، فهي مرآته المترجمة للناظر ما فيه؛ كما أن اللسان ترجمانه المؤدّي للسمع ما فيه؛ ولهذا كثيرًا ما يقرن سبحانه في كتابه بين هذه الثلاث".[1]

صنع من هذا ؟

من جعل الشعر على رءوسنا ١٢٠ألف شعرة، لكل شعرة وريد وشريان وعصب وغدة دهنية وغدة صبغية".[2]

(١) مفتاح دار السعادة» -ابن القيم ٢/٥٥٠ -٥٥٢.

(٢)من عجائب الخلق في جسم الإنسان –إسماعيل الجاويش٩٤.

من جعل شعر الرأس يطول وشعر الحاجبين لايطول؟من الذي جعل في الأنف شعراً وفي الفم لايوجد شعر ؟من خلق المفاصل؟ مفصل لليد ومفصل للقدم ،ومن جعل بعضها مجوفا والآخر مستقيماً ؟.

- **أنت في قبضة الله في كل أمرك:**

ثم تدبر هل تستطيع أن توقف نبضات قلبك ؟ وهل أنت الذي تجعله ينبض في الأصل ؟ هل لك إيقافه وأنت نائم مسلوب الإرادة ؟ من الذي يعطى القلب الأمر ليقلل نبضاته خلال نومك لأنك متوقف عن الحركة ، ومن الذي يجعله يسرع النبض إن قمت بأي بمجهود فتحتاج لسرعة حركة الدم في الجسم.

هل أنت الذي تقوم بكل ذلك ؟! فإذا قلت :نعم فكيف تتنفس وأنت نائم ؟ هب أن الله أوكل إليك التنفس لن تستطيع أن تنام الليل أبداً فالنوم يعنى الموت .

- **وتأمل معدتك:**

ذلك المصنع العجيب وما يحدث فيها من تفاعلات لهضم الطعام وتحويله لدم وطرد الفضلات وما لايفيدك ؛أيحدث هذا بإرادتك أم أنت تفعله دون أن تشعر ؟!

بل إنه سبحانه وتعالى أقام لنا الدليل على أن حركاتنا الاختيارية لاتتم إلا بقدرته، فإذا أردت أن تقوم من مكانك كم عضلة تنقبض وتنبسط ، وذلك بقدرة الله فمن المعلوم أن حركات الجسد وإن كانت خاضعة لنا فهي خاضعة لنا بإرادة الله سبحانه وتعالى الذي أخضعها لنا ، وجعلها تفعل لنا ما نأمرها به ، وإنما تفعل ذلك بشفرة آلهية وضعها الله في أجسادنا فتنقبض وتنبسط ونحن لا ندرى شيئا .

فمن رحمة الله أن هذه الأجهزة مسخرة لنا مقهورة وإلا لما استطاع إنسان أن يحيا أو يعمل.[1]

(١) الأدلة المادية على وجود الله-الشعراوي٢١ .

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾[1]

ثم جعل الفم والأسنان منها ما يصلح للكسر كالأنياب ،ومنها ما هو للطحن كالضروس . ثم اللسان يحرك الطعام يميناً ويسارًا يقلب الطعام وبه تنطق .

ثم انظر إلى اللعاب كيف يعجن الطعام ليصل إلى المعدة ؟ ثم يعمل الكبد من الجانب الأيمن ، والبنكرياس من الجانب الأيسر فيتحول الطعام بقدرة الذي يقول للشيء :"كن فيكون" إلى دم فيذهب إلى كل عرق ومفصل والباقي يخرج على هيئة فضلات ...فسبحان الله!

﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾[2]

وتأمل كيف خلق لك الإراده والقدرة ؛ فلو أنه سبحانه خلق لك البصر حتى ترى الطعام ولم يلق في طبعك الشوق إليه وشهوة تدفعك إلى الأكل لكان البصر معطلاً، وخلق لك الشبع وإلا لأهلكت نفسك من كثرة الأكل .[3]

صنع من هذا ؟

﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾[4]

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

- **نعمة الألم:**

قد تستغرب عزيزى القارئ من هذا العنوان! لكن هل تعلم أن الألم جهاز إنذار مبكر، فالإنسان عندما يتلف سنه فيتألم ألماً شديداً فيذهب إلى الطبيب فيعالجه، فلو لم يكن هناك عصب لما كان هناك وقاية لهذا السن ، كذلك عندما

(١) سورة:[النحل :١٨] (٢)سورة:[لقمان:١١] (٣)مختصر منهاج القاصدين- ابن قدامة المقدسي ٢٨ . (٤)سورة: [النمل: ٨٨]

تصاب بالصداع فإن هذا مؤشر يخبرك بأنك بحاجة إلى النوم وهذه كلها علامات تحذيرية أنعم الله علينا بها حتى نحافظ على صحة وكفاءة أجسادنا، فهل شكرتم الله على نعمة الألم !!!!

حكاية الطفلة التي لا تشعر بالألم !!

عندما قرأت هذا المقال في المجلة تعجبت كثيراً، فكم من نعم كثيرة لا يشعر بها الإنسان لأنه ألفها واعتاد عليها، ولا أخفى عليك عزيزي القارئ لكم كرهت الألم وخاصة عندما كانت تؤلمنى أسنانى، ولكن عندما قرأت هذا المقال حمدت الله على نعمة الألم التي لم أكن أفكر فيها ، ولم تخطر على بالى ،فهيا بنا عزيزي القارئ لنتعرف على الحكاية ؟!

بطلة قصتنا هي طفلة أمريكية جميلة ولدت في عام ٢٠٠١،ومنذ اللحظة الأولى لولادتها أدرك الأطباء أن هناك شيئا ما تعانى منه هذه الطفلة ،إذ إنها عند خروجها من رحم أمها لم تبك كباقى الأطفال، ومرت الأيام الأولى للطفلة دون أن تبدى أي إحساس بما يحدث لها ،إنها لا تتألم، ولا يبدو أنها تشعر بشيء مما يحدث حولها!!

شخص الأطباء حالتها بأنها تعانى من حالة نادرة تسمى" عدم الاكتراث للألم" أي أنها فاقدة تماما لأي إحساس بأي ألم مهما كانت قوته .

المشكلة تتلخص في أن أمها لا تعرف متى تجوع ،أو حتى متي تعانى من سوء الهضم، فمما لاشك فيه أن بكاء الرضيع هو اللغة الوحيدة التي يعبر بها الطفل عن حاجته من جوع أو ألم ،وهكذا مرت الأيام والشهور الأولى والطفلة لا تبكى، ولا تتألم مثل باقى الأطفال !!

-

وبدأت المشكلة الحقيقية في الظهور عندما بدأت الطفلة تتحرك وتمسك بأي شيء، إنها تضع أصبعها في عينها دون أن تشعر، تعض لسانها بقوة فيسيل دماً ولا يهتز

لها طرف ، تصدم رأسها في الجدار ولاتبدى تأثراً ،إنها تحتاج إلى مراقبة دقيقة في كل لحظة ومن يستطيع ذلك ؟

يقول أبوها: لقد فكرنا في نزع أسنانها كلها، فهي لا تكف عن عض أصابعها، وإحداث أضرار بالغة بها ،يقول أيضا: يكفى أن تلتفت عنها يميناً أو يساراً دقيقة واحدة حتى تجدها فقأت عينها بأصبعها !!

إن من أصعب ما مر بها عندما كان عمرها عامين وذلك عندما أكتشف الطبيب أن فكها مكسور منذ ما يزيد عن شهر وهي لا تعلم ، وعندما بلغت عامها الرابع كانت إحدى عينيها قد تدمرت تماما، وحدث ضرر بالغ في العين الأخرى .
ولا تزال الطفلة تعيش بمرضها الغريب النادر !!

أفلا يستحق هذا الإله العظيم أن نخر له ساجدين شاكرين له على نعمه، فقل معى عزيزي القارئ الحمد لله على نعمة الألم .

﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾:[1]

وفي النهاية فالإنسان مهما كان قوياً ولديه المنعة والسطوة فهو مخلوق ضعيف، فهو ضعيف أمام المرض ،ضعيف أمام الموت فلايستطيع أحد أن يهب لنفسه لحظة من العمر لم يكتبها الله له، كذلك ضعيف أمام الريح العاتية والعواصف القاتلة ، فكم سمعنا عن من اقتلعتهم الريح واقتلعت بيوتهم .

فلا تغتر بقوتك وصحتك فهي هبة من الله، والله قادر أن يسلبك إياها في أية لحظة، وأنت لاحول لك ولا قوة ففكر فيما وهبك الله أياه ،وانظر إلى نفسك فكم من نعمة وهبك الله إياها وأنت لا تشكر.

(١)سورة:[النساء:٢٨]

وتأمل نعم الله التى لاتعد ولاتحصي فلقد خلقك من عدم، وشفاك من سقم، وأطعمك من جوع، وكساك من عرى، وأرواك من ظمأ!!

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾[1]

ألا تشكر الله على نعمه التي وهبك إياها ؟!

لقد من الله علينا بنعم كثيرة ، ونعم الله على الإنسان لاتعد ولاتحصى ولكن الإنسان لا يلتفت إلى هذه النعم، ولا يشكر عليها لأنه قد ألفها ،ولكن عندما يفقد أي عضو من أعضائه يتذكر نعم الله عليه، ألا يستحق هذا الإله العظيم أن نخر له ساجدين شاكرين ونشكره على وافر نعمه وجميل إحسانه!!

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ۝٣٤ ﴾[2]

انظر إلى عيناك إنك تبصر وغيرك لايبصر ،وحتى لا تغتر بهذه النعمة وتعجب وكأن الفضل لك. لذلك أوجد الله من له عينان مفتوحتان بل وجميلتان ، ولكنه لا يبصر بهما.[3]

﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾[4]

أنت تتحدث بلسانك، والله خلق من له لسان ولا يقوى على النطق به ،أنت تسمع وغيرك أصم، أنت عاقل ،وغيرك يتخبط فى الجنون !

﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾[5]

(١) سورة:[الشعراء: ٧٨-٨١]
(٢)سورة:[إبراهيم:٣٤]
(٣) الأدلة المادية على وجود الله-الشعراوي ٢٢.
(٤)سورة: [البلد:٨-١٠]
(٥) سورة:[الملك :٢٣]

تخيل معى لو أن الله لم يعطنا أعضائنا وترك لنا مهمة شرائها من الكون !كم تساوى قيمة العين والأذن والقلب والكلى مثلا ؟

تأمل جسدك وبه الروح التي تحيا بها فإذا مت فلا حياة ولا حركة ! فهي سارية في أجسامنا لانسمعها ولانراها ولانلمسها ولا نشمها ولا نتذوقها ومع ذلك فهي موجودة فينا نؤمن بها ونحرص عليها كل الحرص بل نحس بها ونتألم وبها نسير وفيها بقاؤنا .

ولكن من منا رأى الروح؟ بل من منا يعرف أين موقعها من الجسد؟ أهي في القلب؟ أم العقل ؟ أم البطن ؟ أم في القدم؟! لا أحد يعلم!! ؟! لا أحد يعلم!!

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[1]

الدنيا وما فيها لا تساوى نعمة واحدة مما أنعمها الله عليك :

مما يحكى أن رجلا ذهب إلى أحد العلماء، وشكا إليه فقره وأظهر اغتمامه بذلك:

فقال العالم: أَيسُرُّكَ أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم؟

فقال الرجل: لا.

فقال العالم: أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم؟

فقال الرجل: لا.

فقال العالم: أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم؟

فقال الرجل: لا.

فقال العالم: أيسرك أنك مقطوع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفًا؟

فقال الرجل: لا.

فقال العالم: أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك نعم بخمسين ألفًا.[2]

فعرف الرجل مدى نعم الله عليه،وظل يشكر ربه ويرضى بحاله ولا يشتكي إلى أحد أبدًا.

---

(١) سورة:[الإسراء :٨٥]

(٢)مختصر منهاج القاصدين –ابن قدامة ٢٨٤.

لقد قسم الله سبحانه وتعالى نعمه بين خلقه بمنتهى الحكمة والعدالة فما حرم أحد ، فكل منا عنده مثل الآخر،ولكن لايوجد إنسان يمتلك جميع النعم فلابد أن ينقصه شيئا، فلقد شاءت إرادة الله أن يقسم نعمه بين عباده فمن أعطاه الله المال لم يعط نعمة الأولاد، ومن أعطى المال والأولاد حرم من نعمة الصحة، والحكمة من ذلك حتى لا يركن الإنسان إلى الدنيا ويطمئن بها، فالدنيا ليست دار مقام ونعيمها لايدوم .

مُلك لايساوى شربة ماء تشربها أو منعت من إخراجها :

دخل ابن السماك على الرشيد في عِظَـة فبكى ودعا بماء في قدح ، فقال : [يا أمير المؤمنين لو مُنِعْتَ هذه الشربة إلا بالدنيا وما فيها أكنت تفديها بها؟ قال : نعم . قال : فأشرب ريّـاً بارك الله فيك ، فلما شرب قال له : ياأمير المؤمنين أرأيت لو مُنِعْتَ إخراج هذه الشربة منك إلا بالدنيا وما فيها أكنت تفتدى ذلك ؟ قال : نعم .. قال : فما تصنع بشئ شربة ماءٍ خير منه ؟

وهذا يُبين أن شربة ماءٍ عند العطش أعظم من مُلك الأرض ، ثم تسهيل خروجها من أعظم النعم ، وفى هذا إشارة الى النعم التي قد يغفل عنها الكثير . (١)

والكون مشحون بأسرار إذا حاولت تفسيراً لها أعياكا
قل للطبيب تخَّطفته يد الردى ياشافى الأمراض من أردكا ؟
قل للمريض نجا وعوفى بعد ما عجزت فنون الطب من عافاكا ؟
قل للصحيح يموت لا من علة من بالمنايا يا صحيح دهاكا ؟
قل للبصير وكان يحذر حفرة فهوى بها من ذا الذي أهواكا ؟
بل سائل الأعمى خطا بين الزحام بلا اصطدام : من يقود خطاكا ؟

(١)مختصر منهاج القاصدين –ابن قدامة ٢٨٤.

قل للجنين يعيش معزولا بلا راعٍ ومرعى : ما الذي يرعاكا ؟
قل للوليد بكى وأجهش بالبكاء لدى الولادة :ما الذي أبكاكا ؟

فلله الحمد حمداً كثيراً ملء السموات والأرض وما بينهما ، لله الحمد على ما وهبنا من نعم لانؤدى حقها ولاشكرها ،والحمدلله الذي أنعم علينا إذ هدانا إليه وماكنا لنهتدى إلا به .

من عجائب المخلوقات وغرائب الكائنات

قلت لصديقتي : سوف أثبت لكِ بما لايدعو معه مجالاً للشك في أن الله هو خالق كل شيء ،ولا معبود سواه، وسوف أتطرق بك إلى الحديث عن عجائب مخلوقات وغرائب الكائنات التي عندما اقصها عليك لن تجدى سوى أن تقولى: **سبحان الله...!**.

❁ ·شجرة تأكل الناس:

هل تعلمين يا صديقتي أن هناك في جزيرة مدغشقر شجرة تأكل الناس.... ؟!

تعجبت صديقتي وأظهرت دهشتها !!

فسارعت بتبديد دهشتها ، وقلت لها: إنها شجرة تشبه أشجار الصنوبر الضخمة جذورها بالغة التعقيد، وأوراقها هائلة الحجم تنتهي بأطراف حادة كأسنان الوحوش المفترسة، وأزهارها تشبه الأكواب فإذا اقترب منها إنسان تصاعد منها رائحة تشبه (البنج) تصيب كل من يقترب منها بالإغماء وعندئذ تطبق الأوراق عليه في الحال وتلتهمه. (١)

❁ ·الأسماك الضوئية :

هل تعلمين يا صديقتي أن هناك أسماك تعيش في أعماق المحيطات على أعماق تتفاوت من ١٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ متر تحت سطح البحرحيث ينعدم الضوء ويسود الظلام قاع المحيطات ،ويطلق عليها أسماك القاع ،أو أسماك الأعماق وتستطيع هذه الأسماك العيش في قاع المحيطات المظلمة ،وتمتاز بقدرتها على توليد الضوء، وهي عبارة عن

---

(١) عجائب المخلوقات وغرائب الكائنات ٧٣-٧٤ بتصرف -منصور بن محمد بن فهد -٨.

مصابيح صغيرة التركيب، لكنها على درجة عالية من الكفاءة وأجسام هذه الأسماك رخوة لينة.[1]

لماذا حرم لحم الخنزير؟

بادرتنى صديقتي بسؤال فقالت لى: لطالما سمعت عن تحريم لحم الخنزير ولكن لماذا حرم ؟

قلت لها :لأن الله سبحانه وتعالى قد حرمه ، فالله سبحانه وتعالى أحل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث ، وليس كل ما خلق الله هو صالح للأكل،والله سبحانه لم يشرع شيئاً إلا لحكمة علمها من علمها وجهلها من جهلها ، ومما لاشك فيه أن هناك حكمة جلية في إخفاء الله تعالى بعض حكمه وأسرار شرعه وخلقه عنا نحن المكلفين ، وذلك ليتم البلاء وتظهر حقيقة العبودية للخالق للتعرف على من يتبع شرع الله، ومن ينقلب على عقبيه فيتبين من يطيع ربه ومن يتبع هواه وعقله فهذا هو الفارق بين المؤمن والكافر .

قلت لصديقتي: يرجع السبب الرئيسى في تحريم لحم الخنزير لأن غذاءه من القاذورات والنجاسات ولأن فيه ضرراً على صحة الإنسان .

فهناك حيوانات خلقها الله لتنظف البيئة من القاذورات والنجاسات والجيف وهذا الحيوان خلقه الله من أجل ذلك ، وحتى لو تحايل الإنسان وربى هذه الحيوانات في حظائر نظيفة ، وتحكم في طعامها وشرابها.

لقدأثبت العلم الحديث أن الخنزير بطبعه منفر،فقد اكتشف العلم الحديث أن في لحمه ودمه وأمعائه دودة شديدة الخطورة ألا وهي الدودة الشريطية.

---

(١) عجائب المخلوقات وغرائب الكائنات ٧٣-٧٤ بتصرف -منصور بن محمد بن فهد - ١١ .

وقد يقولون: إن وسائل الطهو الحديثة اليوم قد تقدمت فلم تعد هذه الديدان بويضاتها مصدر خطر لأن إبادتها مضمونة بالحرارة العالية التي توفرها وسائل الطهو الحديثة، ونسى هؤلاء الناس أن علمهم بها قد احتاج إلى قرون طويلة ليكشف آفة واحدة فمن ذا الذي يجزم بأن ليس هناك آفات أخرى في لحم الخنزير لم يكتشفها العلم بعد، أفلا تستحق الشريعة التي سبقت هذا العلم البشرى بعشرات القرون أن نثق بها وندع كلمة الفصل لها ونحرم ماحرمت ونحلل ما حللت وهي من لدن حكيم خبير.[1]

يقول عالم غربي ألف كتاب عن الخنزير: (إن الخنزير يأكل العشب واللحم معاً، وقد حرمت الشرائع كلها أكله، وله طباع من أقبح الطبائع والعادات ففيه الغباوة، والقذارة، وفيه سوء الخلق ولا يعف في نكاحه حتى عن أمه،ويقول: (إن لهذا الحيوان وظيفة في تنظيف الأرض من الجيف، والأوساخ، والنجاسات) فسبحان من أحل لنا الطيبات، وحرم علينا الخبائث فمن رحمة الله بنا أن حرم علينا أكل لحم الخنزير.[1]

ماذا يحدث للصقور بعد ٤٠ سنة ؟!

قلت لصديقتي: من أعجب ما قرأت أن الصقر قد يعيش حتى ٧٠ عاماً، ولكن حتى يعيش الصقر لهذا العمر، عليه اتخاذ قرار صعباً فيا ترى ما هذا القرار..؟

عندما يبلغ الصقر ٤٠ عاماً تعجز أظافره التي كانت تتميز بالمرونة عن الإمساك بالفريسة وهي مصدر غذائه، ويصبح منقاره القوى الحاد معقوفاً شديد الأنحناء، وتصبح أجنحته ثقيلة بسبب ثقل وزن ريشها وتلتصق بالصدر ويصبح الطيران في

---

(١)تفسير آيات الأحكام –الصابوني ١/٠١١

(٢)عجائب المخلوقات وغرائب الكائنات –منصور بن محمد بن فهد –١٤

غاية الصعوبة بالنسبة له.

هذه الظروف تضع الصقر أمام خيارين: إما أن يستسلم للموت ،أو أن يخضع نفسه لعملية تغيير مؤلمة تستمر ١٥٠ يوم تتطلب العملية أن يقوم الصقر بالتحليق إلى قمة الجبل إلى حيث عشه، يقوم الصقر بضرب منقاره على صخرة بشدة حتى تنكسر مقدمته المعقوفة عند الانتهاء من كسرمقدمة المنقار، ينتظر حتى ينمو المنقار من جديد، ثم يقوم بكسر مخالبه أيضاً على أحد الصخور وبعد أن تنمو مخالب الصقر، يبدأ في نتف ريشه القديم، بعد خمسة أشهر يطير الصقر في رحلته الجديدة وكأنه ولد من جديد... ويعيش.. بعدها ٣٠ سنة أخرى بإذن الله تعالى. فمن علمه هذا...؟! [١]

- **الغراب:**

أثبتت الدراسات العلمية أن الغراب هو أذكى الطيور وأمكرها على الإطلاق، ويعلل ذلك بأن الغراب يملك أكبر حجم لنصفي دماغ بالنسبة إلى حجم الجسم في كل الطيور المعروفة .

- **محكمة الغربان :**

أن من أعجب ما قرأت ما قرأته عن محكمة الغربان، واندهشت كيف يقيم الغربان محكمة تتصف بالعدل بينما الإنسان قد يطغى أو يظلم إخوانه في الإنسانية!!

أن من بين المعلومات التي أثبتتها دراسات سلوك عالم الحيوان محاكم الغربان وفيها تحاكم الجماعة أي فرد يخرج على نظامها حسب قوانين العدالة الفطريةالتي وضعها الله سبحانه وتعالى لها .

---

(١)عجائب المخلوقات وغرائب الكائنات -منصور بن محمد بن فهد -٤٦-٤٧.

لكل جريمة عند جماعة الغربان عقوبتها الخاصة بها:

فمثلاً **جريمة اغتصاب طعام الأفراخ الصغار**:العقوبة تقضي بأن تقوم جماعة من الغربان بنتف ريش الغراب المعتدي حتى يصبح عاجزاً عن الطيران كالأفراخ الصغيرة قبل اكتمال نموها .

وجريمة اغتصاب العش أو هدمه:تكتفي محكمة الغربان بإلزام المعتدي ببناء عش جديد لصاحب العش المعتدى عليه.

أما **جريمة الاعتداء على أنثى غراب أخر**: فهي تقضي جماعة الغربان بقتل المعتدي ضربا بمناقيرها حتى الموت .

وتنعقد المحكمة عادة في حقل من الحقول الزراعية أو في أرض واسعة ، تتجمع فيه هيئة المحكمة في الوقت المحدد ، ويجلب الغراب المتهم تحت حراسة مشددة ، وتبدأ محاكمته فينكس رأسه ، ويخفض جناحيه ، ويمسك عن النعيق اعترافاً بذنبه .

فإذا صدر الحكم بالإعدام ، قفزت جماعة من الغربان على المذنب توسعه تمزيقاً بمناقيرها الحادة حتى يموت ، وحينئذ يحمله أحد الغربان بمنقاره ليحفر له قبراً يتوائم مع حجم جسده ، يضع فيه جسد الغراب القتيل ثم يهيل عليه التراب احتراماً لحرمة الموت .

وهكذا تقيم الغربان العدل الإلهي في الأرض أفضل مما يقيمه كثير من بني البشر ... سبحان الله.[1]

---

(١)عجائب المخلوقات وغرائب الكائنات -منصور بن محمد بن فهد ٧٠-٧١.

- **صور من وفاء الحيوان :**

الفرس الوفي:

مما يذكر أن فرساً صغيراً ماتت أمه عنه فقام صاحبها برعاية هذا الفرس اليتيم وكان يحبه ويحوطه بالرعاية والتدليل فكان يقدم له الشعير مخلوطاً بالسكر، وإذا مرض استدعى له الطبيب البيطري لفحصه،وبعد سنوات مرض صاحب الفرس وأصبح طريح الفراش فقد الفرس شهيته وترك الحظيرة ليرابط أمام صاحبه ،وظل كذلك أيام إلى أن مات صاحبه وحمل المشيعون جنازته فسار الفرس خلفهم حزيناً منكس الرأس حتى دفن صاحبه العزيز ،ولما هم المشيعون بالرجوع انطلق الفرس المفجوع كالبرق وظل منطلقاً حتى وصل إلى تل عالٍ فصعده ثم ألقى بنفسه من قمته ليلقى حتفه وسط دهشة الجميع.(١)

فأين هذا من غدر الإنسان بإخيه الإنسان بالإضافة إلى عدم الوفاء ومقابلة المعروف والجميل بالإساءة.

- **ذكاء كلب:**

مما يذكر أن طبيباً وجد في طريقه كلباً كسرت إحدى قوائمه، فأخذه إلى عيادته واهتم بها وقومها وجبرها واعتنى به حتى شفي تماماً، ثم أطلق سراحه، وبعد ذلك بزمن سمع الطبيب قرعاً لطيفاً على باب عيادته فوجد الكلب نفسه مصطحباً معه كلباً آخر مكسور الرجل، جاء به إلى المعاينة والعلاج، فسبحان الله ولا إله إلا الله.(٢)

---

(١)عجائب المخلوقات وغرائب الكائنات -منصور بن محمد بن فهد-١٥.

(٢) عجائب المخلوقات وغرائب الكائنات بتصرف -منصور بن محمد بن فهد ٧-٨.

لماذا نحب الله ونذوب شوقاً إليه ؟

ما معنى كلمة حب؟

كلمة حب - كلمة كبيرة جداً - هي في الحقيقة ثلث الإنسان، فالإنسان **عقل** يدرك **وقلب** يحب **وجسم** يتحرك، بل إن الحب قد يطغى على إدراكه وعلى حاجات جسده، فهل الإنسان إلا عقل يدرك وقلب يحب؟

فمن لم يعرف قلبه الحب فبطن الأرض أولى به من ظهرها ، ومن عرف الحب وارتشف من ينابيعه فنعم القلب هو ، ونعم الرجل صاحبه.

فالحب حاؤه حياة القلوب، وباؤه بلسم الجراح ،وهو بين هذا وذاك أمل وخلود وأعظم حقيقة في هذا الوجود .

من عرف الله أحبه، ومن أحب الله أحبه الله ، ومن عرف الله صفت له نفسه، وطابت له الحياة، وهابه كل شيء، وأنس بالله وحده.

مجهولين في الارض معروفين في السماء :

-{عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ"}[1]

لو عرفت الله لأحببته وأطعته وتمنيت رضاه وأشتقت لجنته ولدمعت عيناك شوقاً إليه ،لو عرفته ماعصيته أحيانا تعصاه وأنت غير مدرك من عصيت، وتعتقد أن

(١)(٢٦٣٧) صحيح مسلم-كتاب البر والصلةوالآداب- بَابُ إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا حَبَّبَهُ لِعِبَادِهِ.

ذنبك صغير ، انظر إلى من عصيت ولا تنظر إلى حجم الذنب كلما عرفته رضيت بقضائه ، أن أصل علاقتنا بالله هو الحب فالله يطالبنا بهذا الحب استمع لقوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾(١)

ليس العجب من قوله تعالى : ﴿ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ إنما العجب من قوله تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمۡ﴾ ليس العجب من فقير مسكين يحب محسناً إليه ،وإنما العجب من محسن يحب فقيراً مسكيناً .(٢)

هناك قلوب خالية لم تسمع بهذا الحب الربانى، هناك أشخاص كثيرة جسد بلا روح يعيشون لأجسادهم فقط يأكلون ويشربون وينامون كالأنعام فهم كما وصفهم الله جل وعلا :

﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾(٣)

إن ذكر الله نور للذاكر في الدنيا، ونور له في قبره ،ونور له في معاده ،يسعى بين يديه على الصراط فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله تعالى.

يقول الله تعالى مصوراً لذلك النور بالحياة بعد الموت .

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ (٤)

---

(١) سورة: [المائدة: ٥٤]

(٢) الفوائد -ابن القيم٦٧.

(٣) سورة: [الأعرف: ١٧٩]

(٤) سورة: [الأنعام: ١٢٢]

- **الإيمان نور المؤمن :**

نور المؤمن نابع من نور الله حيث صفت قلوبهم لله،وفاض الحب على وجوهم ، وذبوا وتلاشوا في حب الله ،نسوا الدنيا بمن فيها، وعاشوا لله ،ومع الله ،فاصفاهم الله من نوره وحبه ،واصطافهم من بين خلقه .

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾يتضمن أموراً :-

-أحدها : إنه يمشي في الناس بالنور وهم في الظلمة، فمثله ومثلهم كمثل قوم أظلم عليه الليل فضلوا ولم يهتدوا للطريق ، وآخر عنده نور يمشي به في الطريق ويراها ويرى ما يحذره فيها .

-ثانيهما : إنه يمشي فيهم بنوره فهم يقتبسون منه لحاجتهم إلى النور.

-ثالثهما: إنه يمشي بنوره يوم القيامة على الصراط إذا بقي أهل الشرك والنفاق في ظلمات شركهم ونفاقهم .[1]

إن هذه العقيدة تنشئ في القلب حياة بعد الموت،وتطلق فيه نوراً بعدالظلمات. حياة يعيد بها تذوق كل شيء، وتصور كل شيء، وتقدير كل شيء بحس آخر لم يكن يعرفه قبل هذه الحياة، ونوراً يبدو كل شيء تحت أشعته وفي مجاله جديداً كما لم يبد من قبل قط لذلك القلب الذي نّوره الإيمان.

وإن الإيمان انشراح ويسر وطمأنينة ، وإدراك واستقامة..فهو نور بكل مقومات النور..

إن الكفر انكماش وتحجر.. فهو ضيق.. وشرود عن الطريق الفطري الميسر.. فهو عسر.. وحرمان من الاطمئنان إلى الكنف الآمن.. فهو في قلق..وحيرة.

وما الكافر؟ إن هو إلا نبته ضالة لا وشائج لها في تربة هذا الوجود ولا جذور..إن

---

(٢)الفوائد –ابن القيم٨٧-٨٨.

هو إلا فرد منقطع الصلة بخالق الوجود، فهو منقطع الصلة بالوجود. لا تربطه به إلا روابط هزيلة من وجوده الفردي المحدود. في أضيق الحدود.في الحدود التي تعيش فيها البهيمة. حدود الحس وما يدركه الحس من ظاهر هذا الوجود![1]

فالمؤمن استنار بالإيمان بالله ومحبته ومعرفته وذكره ،والكافر هو الغافل عن الله تعالى المعرض عن ذكره ومحبته .

ونور الله هدى في القلب؛ وتفتح في البصيرة؛ واتصال في الفطرة بنواميس الله في السموات والأرض.

﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠﴾[2]

قال أبّي بن كعب: هذا هو النور الذي أودعه الله في قلب كل مسلم من معرفته ومحبته والإيمان به وذكره، وهو نوره الذي أنزله إليهم فأحياهم به، وجعلهم يمشون به بين الناس وأصله في قلوبهم ثم تقوى مادته فتتزايد حتى يظهر على وجوهم وجوارحهم وأبدانهم، بل وثيابهم ودورهم يبصره من هو من جنسهم وسائر الخلق له منكر أي يبصره المؤمنون ولا يبصره المنافقون والكافرون.

فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور، وصار بأيمانهم يسعى بين أيديهم في ظلمة الجسر حتى يقطعوه وهم فيه على حسب قوته وضعفه في قلوبهم في الدنيا، فمنهم من نوره كالشمس، وآخر نوره كالقمر وآخر كالسراج، وآخر يعطى نوراً على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ أخرى، إذا كانت هذه حال نوره في الدنيا فأعطى على الجسر بمقدار ذلك .[3]

---

(١)في ظلال القرآن -سيد قطب ٣/١٢٠٠.

(٢) سورة: [نور :٤٠]

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب-ابن القيم٤٧-٤٨.

هل نحن نحب الله ؟

ولماذا لانحب الله فقد خلقنا من العدم، وأسبغ علينا من نعمه التي لا تعد ولا تحصى،فلقد هدانا إلى نور الإسلام بينما هناك كثير من الناس منهم من يعبد الحجر، ومنهم من يعبد الشجر، ومنهم من يعبد الدواب أوالشمس أوالقمر، وأطعمنا من جوع، وسقانا من ظمأ، وكسانا من عري، وأغنانا من الفقر، وعفانا من المرض، ومن كل ما سألناه أعطانا، فلماذا لا نحبه ونلهج بذكره، ونعطر أفواهنا بذكره والثناء عليه؟ فهو سبحانه أهلٌ للثناء والحمد، سبحانه وبحمده.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾[1]

طمأنة القلوب وراحتها هي جنة الله لمن أطاعه في الدنيا ،بما فيها من لذة الأنس بالله، فأي نعيم أطيب من شرح الصدور، وأي عذاب أمر من ضيق الصدر فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها،فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها .

إننا نرى كثيراً من الناس يتخبطون ذات اليمين وذات الشمال ينشدون السعادة بملذات زائفة فانية، ولايجدون من طعمها إلا المرارة في حلوقهم والقلق والهم والغم ،وهم الذين توعدهم الله في الدنيا بالمعيشة الضنكا.

فمن أعرض عن ذكر الله فلا يجد إلا ضيق الصدر، وقسوة القلب وتشتته وظلمته وهمه وغمه وحزنه وخوفه والشدة والبلاء، وهذه عقوبات عاجلة في الدنيا [2] يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ

(١)سورة: [الرعد :٢٨]

(٢)الوابل الصيب من الكلم الطيب-ابن القيم٤٤.

رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾[1]

أي: ضنكاً في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره، ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة.[2]

أما من عرف الله فتجد صدره منشرحاً لأنه على نور الهداية وقد صور الله تعالى ذلك المشهد بقوله تعالى:

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[3]

فالقلوب على قلبين :

قلب هو: **عرش الرحمن** ففيه النور والحياة والفرح والسرور والبهجة وذخائر الخير، وقلب هو :**عرش الشيطان** فهناك الضيق والظلمة والموت والحزن والغم والهم، فهو حزين على ما مضى ،مهموم بما يستقبل، مغموم في الحال.[4]

فالإحسان له جزاء معجل ولابد، والإساءة له جزاء معجل ولابد ، ولو لم يكن إلا ما يجازى به المحسن من انشراح صدره في انفساح قلبه وسروره ولذاته بمعاملة ربه عز وجل وطاعته وفرحه بربه سبحانه وتعالى [5]فكل شيء في هذه الدنيا له ثمن، فهل يستوى من يحب ربه، ومن يعرض عن ذكر ربه؟!

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ

(١) سورة: [طه:١٢٣-١٢٥] (٢) تفسير القرآن العظيم -ابن كثير ١٢٢٨ (٣) سورة: [الزمر :٢٢]

(٤)الفوائد- ابن القيم ٢٩. (٥) الوابل الصيب من الكلم الطيب-ابن القيم٤٤.

ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[1]

الكل يدعى محبة الله ولكن .....!!!

إن كان غذاء العقل العلم فغذاء القلب الحب،فلايوجد أحد يعيش في هذه الدنيا بدون حب ، فقلب بلا حب هو قلب قاس جامد ميت،أن المحبة يدعيها كل واحد ما أسهل الدعوى، وأعز المعنى، ولكن هل أنت حقيقة ممن يحبون الله؟ فإن كنت تحبه فكيف تعصيه وتدعى محبته؟! فكيف تحب الله ولاتستحى منه؟ وقد قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تزعم حبـه هذا لعمري بالقياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعـته إن المحب لمن يحب مطيـع

فالذي يحب الله صادقاً يؤدي فرائضه ،وينتهي عما نهى عنه،ويقف عند حدوده، يرجو فضله وإحسانه ويخاف غضبه ونقمته سبحانه.

ما علامات محبة العبد لله ؟

من علامات الحب أن يكون مؤثراً ما أحبه الله تعالى على ما يحبه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله،ومعاداة من عاداه واتباع رسوله،واقتفاء أثره وقبول هداه ، وتقديم ما يحبه الله ورسوله على كل ما يحبه الناس حتى لو في ذلك سخط الناس جميعًا، كذلك الاشتغال بطاعته وعبادته من تأدية الفرائض على أتم وجه، والاستكثار من النوافل.[2]

قال ابن القيم: "وكذلك محبة كلام الله، فإنه من علامة حب الله، وإذا أردت أن تعلم ما عندك وعند غيرك من محبة الله، فانظر محبة القرآن من قلبك، والتذاذك بسماعه أعظم من التذاذ أصحاب الملاهي والغناء المطرب بسماعهم، فإن من المعلوم

(١)سورة: [الأنعام:١٢٥]

(٢)معارج القبول بشرح سلم الوصول –الحافظ الحكمي بتصرف٤/٤٢٤.

أن من أحب محبوبًا كان كلامه وحديثه أحب شيء إليه، كما قيل:[1]

إن كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي؟ أما تأملت ما فيه من لذيذ خطابي

كثرة ذكر الله تعالى، فمن أحب شيئا أكثر من ذكره ،وبذكر الله تطمئن القلوب، ومن علامة المحبة لله دوام الذكر بالقلب واللسان.

فكثرة ذكر الله سبحانه يقود لاطمئنان القلب وانشراح الصدر، والاستئناس بالله عز وجل، ومن أحب شيئًا أكثر من ذكره وذكر كل ما يتعلق به.

من عرف الله أحبه :

وكيف لا نحبه وهو الذي ينجينا من كل ضيق وشدة ، ويجعل لنا مخرجاً من كل كربة، فهو أقرب إلينا من حبل الوريد ، فهو أحن علينا من أمهاتنا .

يقول ابن القيم:"من المحال أن تعرفه ثم لا تحبه، وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الإجابة، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيره، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له، وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لاتطلب الأنس بطاعته ،وأن تذوق عصرة القلب عند الخوض في غير حديثه والحديث عنه ثم لاتشتاق إلى انشراح الصدر بذكره ومناجاته، وأن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره ، ولاتهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه والإنابة إليه ،وأعجب من هذا علمك أنك لابد لك منه ،وأنك أحوج شيء إليه وأنت معرض وفيما يبعدك عنه راغب .[2]

فمن المحال أن تعرفه ثم لا تحبه ،ومن المحال أن تحبه ثم لا تذكره، ومن المحال أن تذكره ثم لا يوجدك طعم ذكره، ومن المحال أن يوجدك طعم ذكره ثم لا يشغلك به عما سواه.

---

(١) الجواب الكافي- ابن القيم ٣٤٤.

(٢)الفوائد- ابن القيم ٤٥.

كذلك حب لقاء الله تعالى في الجنة، فما يتصور إن يحب القلب محبوباً إلا ويحب لقاؤه. فالقلوب السليمة والفطر القويمة لاتلتفت لما سواه ، ولا تقبل بحبها إلا إياه، وما تقتضيه تلك المحبة من عبودية وطاعة ،واتباع مرضاته والإنابة إليه.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾[1]

روابط الدم والنسب تنقطع عندمعاداة الله ورسوله:

فروابط الدم والقرابة هذه تنقطع عند حد الإيمان: إنها يمكن أن ترعى إذا لم تكن هناك محادة وخصومة بين اللوائين: لواء الله ولواء الشيطان.

والصحبة بالمعروف للوالدين المشركين مأمور بها حين لا تكون هناك حرب بين حزب الله وحزب الشيطان.

فأما إذا كانت المحادة والمشاقة والحرب والخصومة ،فقد تقطعت تلك الأواصر التي لا ترتبط بالعروة الواحدة وبالحبل الواحد.

وهكذا تنقسم البشرية إلى حزبين اثنين: حزب الله ، وحزب الشيطان. وإلى رايتين اثنتين: راية الحق ، وراية الباطل. فإما أن يكون الفرد من حزب الله فهو واقف تحت راية الحق، وإما أن يكون من حزب الشيطان فهو واقف تحت راية الباطل.. وهما صفان متميزان لا يختلطان ولا يتميعان!

لا نسب ولا صهر، ولا أهل ولا قرابة، ولا وطن ولا جنس، ولا عصبية ولا قومية.. إنما هي العقيدة، والعقيدة وحدها.

---

(١)سورة:[المجادلة:٢٢]

فمن انحاز إلى حزب الله ووقف تحت راية الحق فهو وجميع الواقفين تحت هذه الراية إخوة في الله.

تختلف ألوانهم وتختلف أوطانهم، وتختلف عشائرهم وتختلف أسرهم، ولكنهم يلتقون في الرابطة التي تؤلف حزب الله، فتذوب الفوارق كلها تحت الراية الواحدة.

ومن استحوذ عليه الشيطان فوقف تحت راية الباطل، فلن تربطه بأحد من حزب الله رابطة. لا من أرض، ولا من جنس، ولا من وطن ولا من لون، ولا من عشيرة ولا من نسب ولا من صهر.. لقد انبتت الوشيجة الأولى التي تقوم عليها هذه الوشائج فانبتت هذه الوشائج جميعاً..[1]

فمحبة الله تعالى ورسولهﷺمقدمة على محبة الأولاد والأموال والنفوس:

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾[2]

فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان:

فإذا تعارض حب الله تعالى وحب غيره سبق حب الله تعالى حب ما سواه ، فرتب على ذلك مقتضاه وما أسهل هذا بالدعوى، وما أصعبه بالعمل فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان، وما أكثر ما يقدم العبد ما يحبه هو ويهواه أو يحبه كبيره وأميره وشيخه وأهله على ما يحبه الله تعالى ، فهذا لم تتقدم محبة الله تعالى في قلبه جميع المحاب، وسنة الله تعالى في من هذا شأنه أن ينكد عليه محابه وينغصها عليه ،ولا ينال شيئا منها إلا بتكدر وتنغيص جزاء له على إيثار هواه ، وهوى من يعظمه من الخلق أو يحبه على محبة الله تعالى .

(١) في ظلال القرآن-سيد قطب ٦/٣٥١٥-٣٥١٦.

(٢)سورة: [التوبة :٢٤]

من أحب شيئاً سوى الله عذب به:

وقد قضى الله تعالى قضاء لا يرد ولا يدفع أن من أحب شيئا سواه عذب به ولابد، وأن من خاف غيره سلط عليه ،وأن من اشتغل بشيء غيره كان شؤما عليه، ومن آثر غيره عليه لم يبارك فيه،ومن أرضى غيره بسخطه أسخطه عليه ولابد .[٢]

وكان بعض العارفين يقول: لو علم الملوك، وأبناء الملوك مانحن فيه لجالدونا عليه.

وقال آخر: مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل:وما أطيب ما فيها ؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره.

فمحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه، والطمأنينة إليه، وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولى على هموم العبد هو جنة الدنيا والنعيم الذى لايشبهه نعيم، وهو قرة عين المحبين ،وحياة العارفين وإنما تقر عيون الناس به على حسب قرة أعينهم بالله عز وجل ،فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات.[٢]

عرفت الهوى، مذ عرفت هواكا وأغلقت قلبي عمن سواكا
وقمت أناجيك يا من ترى خفايا القلوب ولسنا نراك
أحبك حبين حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى فشغلى بذكرك عمن سواك

أنواع المحبة :

وهي أربعة أنواع :

-أحدها: محبة الله، ولا تكفى وحدها في النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه .

-الثانى :محبة ما يحب الله وهذه هي التي تدخله في الإسلام وتخرجه من الكفر.

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب-ابن القيم٦.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب-ابن القيم٤٥.

-الثالث :الحب لله وفيه.

- الرابع: المحبة مع الله وهي المحبة الشركية ،فكل من أحب شيئاً مع الله لا لله ولا من أجله ولا فيه فقد اتخذه نداً من دون الله، وهذه محبة المشركين.(١)

لهذاكان أعظم الذنوب عند الله الشرك يقول الله تعالى :

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾(٢)

يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا، وما لهم في الدار الآخرة؛ حيث جعلوا له أنداداً، أي: أمثالاً ونظراء، يعبدونهم معه، ويحبونم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا ضد له، ولا ندّ له، ولا شريك معه.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾(٣)

أي ولحبهم لله وتمام معرفتهم به، وتوقيرهم وتوحيدهم له، لا يشركون به شيئاً، بل يعبدونه وحده، ويتوكلون عليه، ويلجأون في جميع أمورهم إليه.(٤)

كم أحبك ياربي!!

محبة الله أمر فطري داخل النفس البشرية، فلا بد لهذه النفس أن يكون لها إلهاً تعبده وتحبه، وتتذلل إليه، وتخضع له، وتستعين به، وتستغيث به، وتفزغ إليه،وتلوذ به وتطلب منه العون والمدد؛ لأن الفطرة التي فطرنا الله عليها تستدعي ذلك، وهي المحبة لله تعالى فهناك في القلب غريزة تسمى النور الإلهى، وقد تسمى العقل ، وقد تسمى البصيرة ،وقد تسمى نور الإيمان واليقين، خلقت ليعلم بها حقائق الأمور كلها فمقتضى طبعها العلم والمعرفة ،وفي ذلك لذاتها وهل في الوجود كله شيء أجل وأعلى وأشرف وأعظم من معرفة خالق الأشياء كلها فإذا حصلت محبة الله تعالى لشخص ما

---

(١)الجواب الكافى –ابن القيم ٢٨٥. (٢)،(٣)سورة: [البقرة :١٦٥]. (٤)تفسير القرآن العظيم_ ابن كثير٢٢٧.

صار قلبه مستغرقاً بها ،ولا يلتفت إلى جنة ، ولايخاف من نار فإنه قد بلغ النعيم الذي ليس فوقه نعيم فالقلب لذته في حب الله.(١)

-{عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ}(٢)

إذاً فحب الله أمر فطري جُبل عليه الإنسان منذ ولادته، وهذا هو تفسير قوله ﷺ:

- { عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ»}(٣)

والفطرة هنا المقصود بها الإسلام، لقد فطرت النفس البشرية على أن يكون لها إلهاً تعبده، وتلوذ به وتلتجأ إليه إذا ألمّ بها خطر، وتفزع إليه لطلب إزالة الضر الذي لحق بها ، ودفع السوء.

ماذا فقد من وجدك ؟وماذا وجد من فقدك ؟

من فقدك فقد كل شيء ،ومن وجدك فقد وجد كل شيء، إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغنى أنت بالله، وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله، وإذا أنسوا بأحبابهم فأنس أنت بالله، وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة ، فتعرف أنت إلى الله وتودد إليه تنل بذلك غاية العز والرفعة .(٤)

وأنت عندى كروحى بل أنت فيها أحب
حسبى من الحب أنى لما تحب أحب

(١)منهاج القاصدين بتصرف- ابن قدامة٣٢٦ -٣٢٨.

(٢) (١٦)صحيح البخارى-كتاب الإيمان- باب حلاوة الايمان.

(٣) (١٣٨٥)صحيح البخارى - كِتَابُ الجَنَائِزِ -بَابُ مَا قِيلَ فِي أَوْلاَدِ المُشْرِكِينَ.

(٤)الفوائد –ابن القيم ١١٣.

كيف ندفع الهم والغم عن أنفسنا؟

من منا لا يصيبه الهم أو الغم أو الحزن والضيق فيحاول أن يخرج من هذه الحالة ولا يستسلم لها، لذلك قال بعض العلماء: فكرت فيما يسعى فيه العقلاء، فرأيت سعيهم كله في مطلوب واحد وإن اختلفت طرقهم في تحصيله رأيتهم جميعهم إنما يسعون في دفع الهم والغم عن نفوسهم، فهذا بالأكل والشرب، وهذا بالتجارة والكسب، وهذا بالنكاح، وهذا بسماع الغناء والأصوات المطربة،وهذا باللهو واللعب، فقلت: هذا مطلوب العقلاء، ولكن الطرق كلها غير موصلة إليه إلا الإقبال على الله ومعاملته وحده وإيثار مرضاته على كل شيء، فإن سالك هذه الطريق إن فاته حظه من الدنيا فقد ظفر بالحظ العالى الذي لافوت معه، وإن حصل للعبد حصل له كل شيء،وإن فاته فاته كل شيء وإن ظفر بحظه من الدنيا ناله على أهنأ الوجوه،فليس للعبد أنفع من هذا الطريق ،ولا أوصل منها إلى لذته وبهجته وسعادته.(١)

ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله، وما أوحش الطريق على من لم تكن أنيسه ،عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك !! ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك !!

فمن ذاق عرف ومن عرف اغترف!!

والله ما طلعت شمس ولا غربت إلا وحبك مقرون بأنفاسى
ولا جلست إلى قوم أحدثهم إلا وأنت حديثى بين جلاسى

إياك أن يخلو قلبك من محبة الله، فالله خلقك لنفسه،فأنت لم تخلق إلا لتعرف الله واختارك من بين خلقه لمحبته وعبادته يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾(٢)

اللّٰهُمَّ إنا نسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربنا إلى حبك.

---

(١)الجواب الكافى –ابن القيم ٢٩١.

(٢) سورة: [الذرايات :٥٦]

لماذا لا نرى الله في الدنيا ؟

كان آخر سؤال طرحته على صديقتي ...قالت لى :**لماذا لا نرى الله ؟**

قلت لها : سؤال لطالما راود عقول كثيراً منا وسبقنا إليه سيدنا موسي عليه السلام حيث طلب من الله أن يراه فيا ترى ماذا كان جواب الرب سبحانه وتعالى عليه:

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1]

في الواقع إننا غير مؤهلين لرؤية الله في الدنيا، ولكننا سوف نرى الله في الآخرة فالله سبحانه وتعالى :

﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾[2]

فسيدنا موسي عليه السلام عندما طلب من الله أن يراه أخبره الله تعالى أنه لايستطيع رؤيته في الدنيا ولذلك قال له تعالى : لن ترانى، ولم يقل: لا ترانى .

وهذا يدل على إنه سبحانه وتعالى يرى ولكن سيدنا موسي عليه السلام لا تحتمل قواه رؤيته تعالى بدليل قوله نعالى :

﴿ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾[3]

فأعلمه سبحانه وتعالى أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف؟[4] ثم قوله تعالى:

---

(١)سورة: [الأعراف:-١٤٣] (٢)سورة: [الأنعام :١٠٣] (٣) سورة: [الأعراف:-١٤٣] (٤) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح –ابن القيم٢١٠.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾[١]

فإذا كان تجلِّي الله عزَّ وجل للجبل على عظمته وشموخه إلا إنه تضاءل أمام عظمة الله سبحانه وتعالى فبمجرد أن تجلى له الله تعالى جعله دكّاً فهل يحتمل الإنسان أو يطيق هذه الرؤية ؟ وحيث لا تحتمل طبيعة الإنسان أن ترى الله سبحانه وتعالى في الدنيا، لكن في الآخرة سوف نراه بدليل قوله تعالى :

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[٢]

الله لا يراه الخلق في الدنيا ؛ يرجع ذلك لأن تكويننا غير مؤهل لأن نراه ، بدليل أن الأصلب والأقوى منا وهو الجبل حينما تجلى ربه عليه اندك. فلما اندك الجبل خر موسي صعقاً، فإذا كان موسي قد خر صعقا لرؤية المتَجلَّى عليه وهو الجبل فكيف لو رآه؟! إذن فهو غير معد لذلك .[٣]

-{عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ ".}[٤]

من منا لايتمنى أن يرى الله!!:

قالت لى صديقتي: أنى أؤمن بكل ما تقولينه ولا اختلف معك، ولكننى كم تمنيت أن أرى الله فأنا أحبه من كل قلبى، بل وأهيم شوقاً عند سماع اسمه ،وأذوب تحرقاً لرؤيته ، ولطالما تمنيت أن ارضيه ولكن لا أعلم ...كيف!

(١)سورة: [الأعراف:-١٤٣] (٢)سورة: [القيامة:٢٢-٢٣] (٣)تفسير الشعراوي -٦/٣٨٤٣.

(٤)(١٧٩)صحيح مسلم -كِتَابُ الْإِيمَانَ- بَابٌ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ، وَفِي قَوْلِهِ: حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ.

بل لا أخفيك سراً لكم تمنيت أن تقوم القيامة لكى أراه كما أخبرنا بذلك حبيبنا ﷺ:

-{عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ البَجَلِيِّ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّكُمْ فَتَرَوْنَهُ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾[1] }[2]

قلت لها :من منا لايتمنى أن يرى الله ،فإن كنتِ لم تر الله بعينك فذلك لأن الله قضى بأن لاتدركه الأبصار ، فلو رأى الناس الله في الدنيا لبطل التكليف ؛لأن كل الناس سوف تهابه وتخافه فكل ذنب ورائه عقاب مباشر لذلك فالكل سوف يستقيم على الطريق المستقيم لن يحيد عنه أحد، فالله سبحانه وتعالى ما أراد أن تكون علاقة عباده به علاقة قهر، ولكن أراد أن تكون علاقة حب تأتيه طائعاً مختاراً وبإمكانك أن تعصيه، وإلا لبطل التكليف وإلغى الثواب والعقاب ،فالله يريد أن يأتى إليه العبد محباً طائعاً لاخائفاً وإلا لجبلنا على الطاعة كما جبل على ذلك الملائكة، فإن كنا لانرى الله فهو يرانا ،وما أصدق قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ ﴾[3]

يا مدرك الأبصار والأبصار	لا تدرى له ولكنهه إدراكا
أتراك عين والعيون لها مدى	ما جاوزته ، ولا مدى لمداكا
إن لم تكن عينى تراك فإننى	في كل شيء أستبين علاكا
فاقبل دعائى واستجب لرجاوتى	ما خاب يوماً من دعاك ورجاكا

(١)سورة: [ق: ٣٩]

(٢) صَحِيحٌ» (٢٥٥١) سنن الترمذى - أبواب صفة الجنة عن رسول الله ﷺ - بَابُ مَا جَاءَ فِي رُؤْيَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

(٣)سورة: [الانعام:١٠٣]

لذلك يجب علينا أن نؤمن بالغيب، وبما أخبر به سبحانه وتعالى عن ذاته العلية ،ولا نبحث فى ذات الله لأنها أكبر من أن تدركها العقول أو تتصورها البصائر والأفهام .

إن الله عز وجل قد قضى وقدر بحكمته ألا يراه أحد في الدنيا؛لأنه لو حصل ذلك لآمن كل الناس.

فرؤية الله عز وجل تقتضي فقد الإنسان لحريته التي أرادها الله له...!!

فهو لن يحيد عن الطريق المستقيم مادام يرى الله أمامه ، والله يراه ويحاسبه على كل صغيرة وكبيرة تصدر عنه ؛ولكن أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون غيبا ليكون بذلك الامتحان الأكبر لنا فبالرغم أنكِ لا ترى الله فإنكِ بوازع من نفسك وضميرك تشعرين أنه مطلع عليكِ،بل يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ،فتكونى أنتِ رقيبة على نفسك محاسبة لها على كل هفوة .

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ ﴾[1]

لقد شاءت إرادة الله أن يكون الإنسان مخيراً :

وكذلك لقد أرادت مشيئة الله سبحانه وتعالى أن تكون الدنيا دار عمل يحاسبنا فيها الله على ما اخترناه وما فعلناه بمحض إرادتنا، فالإيمان أمراً اختيارياً لا إجبار فيه، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ولو شاء سبحانه وتعالى لأجبر الخلق جميعاً على أنْ يؤمنوا به ، فالله غنى عن عبادتنا ،ولكننا صنعة الله ،والله يحبنا لذلك يريدنا أن نأتى له طائعين منيبين بلا إجبار بل بمحض إرادتنا .

﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾[2]

---

(١)سورة: [يس: ١١]

(٢) سورة: [الكهف:٢٩]

من أركان الإيمان أن نؤمن بالغيبيات :

كذلك من أركان الإيمان أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَـٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَـٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَـٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾[1]

-{عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ» . قَالَ: مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: " الإِسْلاَمُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ". قَالَ: مَاالإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»}[2]

والله سبحانه وتعالى غيب: فلو رأى الناس الله لانتفت الحكمة التي من أجلها أوجد الله الناس في هذه الحياة ،ولو كنا نرى الله لانتفى معنى الإيمان.... فالإيمان يقتضي التصديق بما لا تراه بعينيك أو تدركه بحواسك....كذلك **من صفات المؤمنين أنهم يؤمنون بالغيب**فكيف ستحقق هذا المعنى برؤية الله تعالى؟

﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَـٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَـٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾[3]

﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَـٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣﴾[4]

أي خاف الرحمن فأطاعه دون أن يراه لقوة يقينه، وجاء بقلبٍ تائب خاضع خاشع.[5]

---

(١)سورة: [النساء :١٣٦]

(٢) (٥٠)صحيح البخارى – كتاب الإيمان -بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ .

(٣)سورة: [البقرة: ٢-٣]

(٤)سورة: [ق: ٣٣]

(٥)صفوة التفاسير- الصابوني٣/٢٤٧.

ومن الأسباب كذلك **ضعف الخلق،وعدم إطاقتهم لرؤية الله** في الدنيا الذي لا تدركه الأبصار في الدنيا، ففي الدنيا لا يستطيع الإنسان أن يرى الله جهرةً، ما رآه لا رسولٌ، ولا نبي، ولا صدِّيقٌ، ولا ولي، وذلك لأن طاقة الإنسان لا تحتمل رؤية الله عزَّ وجل.

أما سكان الجنه نسأل الله أن نكون منهم فإن الله سبحانه وتعالى يجعلهم قادرين على النظر إليه بدون أي ضرر اللّٰهُمَّ لا تحرمنا لذة النظر الى وجهك الكريم..

رؤية الله في الآخرة ممكنة في الآخرة:

والذي يراه العلماء أن رؤية الله فى الآخرة ممكنة كما قال أهل السنة لورود الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة التي تشهد بذلك، أما في الدنيا فقد منع العلماء وقوعها.

ولكن هل يرى الكافر ربه يوم القيامة؟

أن من أعظم العقوبات أن يحرم الكفار من رؤية الله ، يقول الله تعالى :

﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾[1]

وذلك لأن الكفار حجبوا عن قلوبهم نور الهداية لذلك كان عقابهم من جنس عملهم فحجبهم الله سبحانه وتعالى عن رؤيته .

قال الشافعى : لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياء الله يرونه في الرضى.[2]

هل يرى المؤمن ربه ؟

قد دل القرآن والسنة على أن الله يرى يوم القيامة بالأبصار عياناً كما يرى

(١)سورة: [المطففين: -١٥]

(٢)حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح –ابن القيم ٢١٤

القمر ليلة البدر صحواً ، وكما ترى الشمس فى الظهيرة.

الدليل على رؤية الله في الآخرة من القرآن الكريم قوله تعالى :

﴿۞لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾[١]

-{عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ:﴿۞لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾قَالَ: " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَى مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا، قَالُوا: أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ؟ قَالُوا: بَلَى، فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ "}[٢]

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾[٣]

قال الطبراني: قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله، وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره .[٤]

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾[٥]

هذه الآيات صريحة الدلالة على رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى لا تقبل تحريفاً ولاتأويلاً ولايردها إلا مكابر ختم الله على سمعه وقلبه وعلى بصره غشاوة.[٦]

والدليل على رؤية الله في الآخرة من السنة المطهرة :

-{عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّكُمْ فَتَرَوْنَهُ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ

(١)سورة: [يونس:٢٦] (٢) (٢٥٥٢)سنن الترمذى- أبواب صفةالجنة عن رسول الله ﷺ - بَابُ مَا جَاءَ فِي رُؤْيَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. (٣)سورة: [ق:٣٥]

(٤)حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح –ابن القيم٢١٤ (٥)سورة: [القيامة:٢٢-٢٣] (٥)معارج القبول بشرح سلم الوصول –الحافظ الحكمي١/٣٠٥.

غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾[1] }[2]

-{ عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ "}[3]

إلهه تقود عابديها إلى النار:

-{ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ، كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا،

(١)سورة: [ق: ٣٩]

(٢)« صَحِيحٌ» (٢٥٥١)سنن الترمذى - أبواب صفة الجنة عن رسول الله ﷺ - بَابُ مَا جَاءَ فِي رُؤْيَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

(٣) (١٨١)صحيح مسلم- كتاب الإيمان -بَابُ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ "}[1]

-{عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، أَخْبَرَهُ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ، كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ،فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ }[2]

---

(١) (١٨٣) صحيح مسلم-كِتَابُ الْإِيمَانَ -بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ

(٢)(١٨٢) صحيح مسلم-كِتَابُ الْإِيمَانَ- بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ.

وفي النهاية فلقد اتفق الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على إثبات الرؤية لله تعالى، وكذلك اتفق الصحابة والتابعون على أن الله يرى في الآخرة بالأبصار، ومتفقون على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه.[1]

وأنه يرى بلا إنكار في جنة الفردوس بالأبصار
وفي حديث سيد الأنام من غير شك ولا إيهام
رؤية حق ليس يمترونها كالشمس صحوا لا سحاب دونها
وخص بالرؤية أولياؤه فضيلة وحجبوا أعداؤه

وفي النهاية أقول لصديقتي :إن في أعماق الإنسان أصواتاً خفية تناديه وأسئلة تلحُّ عليه منتظرة الجواب الذي يذهب القلق وتطمئن به النفس.

فالمؤمن يعيش موصولاً بالوجود كله ويحيا في أنس به وشعور عميق بالتناسق معه وارتباط به .فليس هذا الكون عدواً له ولا غريباً عنه إنه مجال تفكره واعتباره ومسرح نظره وتأملاته ومظهر نعم الله وآثار رحمته. هذا الكون الكبير يخضع لنواميس الله كما يخضع المؤمن ويسبح بحمد الله كما يسبح المؤمن .

فمن عرف الله قرّت عينه بالله وقرّت به كل عين، ومن لم يعرف الله تقطع قلبه على الدنيا حسرات، ومن عرف الله لم يبق له رغبة فيما سواه.

اللّٰهُمَّ أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم ،والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ،ولا فتنة مضلة.

يامن لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون ،ويعلم عدد

---

(١)منهاج السنة -ابن تيمية ٣١٦/٢.

أوراق الأشجار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ما أظلم عليه الليل ،وأشرق عليه النهار ، يا من يرى دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء ، اجعل خير أعمارنا آخرها، وخير أعمالنا خواتمها ، وخير أيامنا يوم نلقاك فيه .

اللّٰهُمَّ كم وهبتنا الإيمان بك، وهديتنا لمعرفتك، فسخرنا لطاعتك، وأمنن علينا بمحبتك ،وأكرمنا بولايتك، ،وألبسنا ثوب عافيتك واخلع علينا حلل رضوانك.

جزى الله خيراً كل من قرأ هذا الكتاب، وتعلم منه شيئاً وعلمه لمن حوله

"***فالدال على الخير كفاعله***"

المراجع

١- القرآن الكريم .

٢-صحيح البخارى-دار الطوق النجاة- تحقيق مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر ط١ -١٤٤٢هـ.

٣-صحيح مسلم -دار إحياء التراث العربى -تحقيق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي .

٤-سنن الترمذى -تحقيق أحمد شاكر ومُحَمَّد فؤاد عبد الباقي-ط٢- ١٣٩٥هـ -مصطفى البابي الحلبي مصر .

٥-منهاج السنة النبوية -ابن تيمية - تحقيق مُحَمَّد رشاد سالم -مؤسسة قرطبة-ط١-١٤٠٦هـ.

٦-مختصر منهاج القاصدين-أحمد بن قدامة المقدسي -دار التقوى-٢٠٠٦م .

٧-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء -الحافظ أبى نعيم الأصفهاني-دار الفكر - مكتبة الخانجى - ١٤١٦هـ.

٨-معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول -حافظ بن أحمد الحكمى -دار بن القيم- ط٣- ١٤١٥هـ.

٩-العقائد الإسلامية -سيد السابق -دار الفتح-ط١٠-١٤٢٠هـ.

١٠-الفوائد -ابن القيم الجوزية -دار العقيدة - ١١٤٢ هـ-ط٥.

١١-الجواب الكافى لمن سئل عن السؤال الشافى -ابن القيم الجوزية-المكتبة العصرية-ط١-١٤٢٨هـ.

١٢-مفتاح دار السعادة ومنشور الولاية -ابن القيم الجوزية-تحقيق: عبد الرحمن بن حسن-ط٧-دار النفائس.

١٣-الوابل الصيب من الكلم الطيب -ابن القيم -المكتبة السلفية -ط٥.

١٤-حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح -ابن القيم الجوزية -تحقيق: أحمد عرفة - المكتبة التوفيقية.

١٥-صيد الخاطر - أبى فرج بن الجوزي-دار الكتب العلمية -ط١-١٤١٢هـ.

١٦-تفسير القرآن العظيم -ابن كثير-دار ابن حزم -ط١-١٤٢٠هـ

١٧-لباب التأويل في معانى التنزيل -الخازن -دار الفكر -١٣٩٩هـ.

١٨-في ظلال القرآن -سيد قطب -دار الشروق.

١٩-التحرير والتنوير-مُحَمَّد الطاهر بن عاشور-الدار التونسية .

٢٠-التفسير الوسيط للقرآن الكريم –مُحَمَّد سيد الطنطاوي- دار نهضة مصر –ط١ .
٢١-تفسير الآيات الكونية في القرآن -زغلول النجار –مكتبة الشروق –ط١-١٤٢٨هـ.
٢٢-صفوة التفاسير –الصابوني –مكتبة الصابوني.
٢٣-تفسير آيات الأحكام -مُحَمَّد على الصابوني-دار الصابوني .
٢٤-الجواهر في تفسير القرآن الكريم –طنطاوي الجوهري –ط٠ مصطفي البابي الحلبي – ١٣٤٩هـ.
٢٥-عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ -أحمد بن يوسف بن عبد الدايم –دار الكتب العلمية-ط١-١٤١٧هـ.
٢٦-تفسير الشعراوي -مُحَمَّد متولى الشعراوي-مؤسسة أخبار اليوم.
٢٧-الأدلة المادية على وجود الله -مُحَمَّد متولى الشعراوي -مؤسسة أخبار اليوم.
٢٨-الآيات الكونية ودلالتها على وجود الله-مُحَمَّد متولى الشعراوي.
٢٩-نهاية العالم -مُحَمَّد متولى الشعراوي-مؤسسة أخبار اليوم.
٣٠-الله والنفس البشرية-مُحَمَّد متولى الشعراوي-مؤسسة أخبار اليوم.
٣١-الحياة والموت -مُحَمَّد متولى الشعراوي-مؤسسة أخبار اليوم.
٣٢-الله يتجلى في عصر العلم –ترجمة الدمرداش عبد المجيد سرحان –دار القلم –بيروت
٣٣-للكون إله -صبرى الدمرداش –مكتبة المنار الإسلامية -ط٢- ١٤٢٧هـ.
٣٤-عجائب المخلوقات وغرائب الكائنات – منصور بن مُحَمَّد بد فهد -١٤٢٢هـ.
٣٥-من عجائب الخلق في عالم الحشرات-مُحَمَّد إسماعيل الجاويش-الدار الذهبية.
٣٦-تأملات في فقه الدعوة –طلعت عفيفى وجمال عبد الستار- الجمعية الشرعية الرئيسية.
٣٧-الجمعية الشرعية بين المنهج والتطبيق- الإصدار ٣-١٤٣٢هـ.
٣٨-هذه دعوتنا –عبد اللطيف مشتهري-الجمعية الشرعية الرئيسية.

الفهرس

المقدمة..... ٢

أسئلة حائرة في عقول تائهة..... ٥

سؤال خايفه أسأله!!..... ٥

سؤال كل عصر ٦

هل للكون إله؟..... ٨

من الذي أوجد هذا الكون العظيم ؟..... ٩

قالوا :الصدفة هي التي أوجدت هذا الكون البديع..... ٩

الأدلة والبراهين على وجود الله سبحانه وتعالى..... ١٠

دليل الخلق..... ١١

الإعجاز في الخلق دليل على طلاقة القدرة..... ١٢

كل إنسان خلقه الله هو كيان منفرد عن مثيله من بنى البشر..... ١٣

طلاقة القدرة في عمل أعضائنا الداخلية..... ١٤

الإنسان جاء إلى الأرض وكل شيئا معدا لاستقباله..... ١٤

الكون كله مسخر لك أيها الإنسان..... ١٥

التسخير نعمة من الله..... ١٥

تسخير الحيوان..... ١٦

التحدى الإلهى في الخلق..... ١٧

ثبات قوانين الكون..... ١٧

قوانين الكون خاضعة لإرادة الله..... ١٨

كل ما في الكون يسير بمنتهى الدقة والنظام. ١٨

ثبات عناصرالكون..... ١٩

ثبات صفة المعادن..... ١٩

ثبات أنظمة الجسم البشرى..... ١٩

إبداع الله في الخلق..... ٢٠
الله يخلق بإبداع..... ٢٠
إبداع الله بلا أدوات..... ٢٠
خلق الله لايحتاج إلى تعديل ٢٠
إبداع الله لانهائي..... ٢١
الله عز وجل يخلق من أصغر الأشياء وأكبرها..... ٢١
الله عز وجل خلق مايحس وينمو ويتكاثر من العدم..... ٢٢
الفطرة دليل على وجود الله..... ٢٢
الله هو الذي يكشف الضر والكرب العظيم ٢٢
طلاقة قدرة الله فى الكون..... ٢٣
دليل القهر..... ٢٣
قدر الله ينفذ عليك رغم إرادتك..... ٢٤
الدقة والنظام في الكون..... ٢٥
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ٢٥
هداية كل مخلوق لما خلق له..... ٢٦
لله في خلقه شؤون..... ٢٦
الرد على من زعم أن الكون ليس له إله ٢٧
كيف نعبد الله دون أن نراه؟..... ٣٠
الأثر هو أكبر دليل على وجود المؤثر ٣٠
العجز عن رؤية الإشياء لاينفى وجودها..... ٣١
تصديق الله في كل ما أخبرنا عنه من غيبيات..... ٣٢
حادثة الإسراء والمعراج بين مصدق ومكذب ٣٣
إن وجود الله حقيقة لاشك فيها ٣٣
لابد من وجود خالق عظيم ومسيطر ومدبر لهذا الكون ٣٤
أين هي الصدفة المزعومة ؟..... ٣٤

إن كنا لانرى الله بأعيننا فنحن نراه ببصيرتنا..... ..... ٣٥
العجز عن إدراك ذات الله إدراك ،والبحث في ذات الله إشراك..... ٣٥
ما الغيب ؟..... ٣٥
الإيمان بالغيب من صفات المؤمن..... ..... ٣٧
شهادة الأرواح بوحدانية الله..... ..... ٣٧
الغريزة الإيمانية تشهد بوجود الله.. .... ٣٨
التفكر ساعة خير من عبادة سنة ٣٩
التدبر في الكون المنظور والتفكر في الكتاب المسطور ٣٩
كيف استدل هؤلاء العلماء على وجود الله ؟..... ٤١
قصة ورقة التوت..... ..... ٤١
سئل الإمام مالك: بم عرفت الله ؟..... ٤١
قصة البيضة والكتكوت..... ..... ٤١
قصة القارب العجيب..... ..... ٤٢
سئل ابن الجوزي : بم عرفت الله ؟.....٤٣
الفطرة ترشد هذا الرجل البسيط إلى وجود إله..... .....٤٣
من الإلحاد إلى الإيمان..... ..... ٤٤
لماذا آمنتم بالله أيها الملحدون؟..... ٤٤
سبب إيمان توماس دافيد (أستاذ الكيمياء)بوجود إله..... ..... ٤٤
سبب إيمان جون وليام كلوتس أستاذ علم الأحياء والفسيولوجيا... ..... ٤٥
من العجيب العلاقة بين فراشة اليوكا ونبات اليواكا ٤٥
حكمة الله في تدبير شؤون خلقه..... ..... ٤٦
سبب إيمان أندرو كونواى إيفى (عالم فسيولوجى). ٤٨
﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾..... ٤٨
طفل صغير يفحم عالم كبير ٤٩
﴿ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾..... ٥٠

إعجاز الله في خلق السموات السبع..... .... ٥١
من خلق السموات والأرض بهذا النظام المحكم الدقيق؟..... ٥٢
ما هذه العمد ؟..... ٥٤
الجاذبية وتأثيرها..... .... ٥٤
إعجاز الله في خلق الشمس..... .... ٥٦
ماذا تعرف عن الشمس؟ ماحجمها ؟ وما عمرها ؟ وما مقدار الطاقة التى تصل إلينا منها؟.. ٥٧
إعجاز الله في البحار ٥٨
إعجاز الله في خلق الجبال..... .... ٥٩
فائدة الجبال ٥٩
الجبال تخشع وتتصدع عند سماع القرآن فكيف بك أيها الإنسان؟..... ٦١
إعجاز الله في خلق الأرض..... .... ٦٢
تصميم الأرض مناسباً لمتطلبات الإنسان ٦٤
إعجاز الله في خلق الماء..... .... ٦٤
﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ٦٥
دعوة للتأمل والتفكر فى صنع الله ٦٦
﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ ٦٦
من علم هؤلاء؟..... ٦٧
هدهد يهدى أمة..... .... ٦٧
ماذا فعل الهدهد ؟ ٦٩
إيجابية الهدهد..... .... ٦٩
انظر إلى النحل !!..... .... ٧٠
ما الشراب المختلف ألوانه ؟ ٧١
بيوت النحل..... .... ٧١
﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ ٧٢

من علمها؟!..... ٧٢
كل ميسر لما خلق له..... ٧٣
نقارالخشب..... ٧٤
تأمل السمك السالمون !!..... ٧٤
تفكر في ثعبان الماء..... ٧٥
انظر إلى الأخطبوط..... ٧٥
كيف يدافع عن نفسه وقت الخطر؟..... ٧٥
وتأمل البعوضة وعظم خلقها !!..... ٧٦
ما الأجهزة التى تمتلكها البعوضة ؟ وكم قلب لها؟..... ٧٧
ما معنى الاستلاب..... ٧٨
عظيم خلق الله في الذبابة..... ٨٠
تأمل وتفكر في النمل..... ٨١
فائدة النمل ٨٢
لغة النمل..... ٨٢
ذكاء النمل..... ٨٣
الثعلب..... ٨٣
حكاية الذئب الذي لبس ثياب الوعاظ..... ٨٤
تأمل في خلق الإبل..... ٨٥
﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ ٨٦
﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ ٨٩
أطوار الجنين..... ٨٩
مرحلة الطين..... ٩٠
مرحلة النطفة..... ٩٠
القرار المكين..... ٩٠
العلقة.. ..... ٩٠

المضغة المخلّقة وغير المخلّقة..... ٩١
مرحلة العظام..... ٩٢
جاء في الأثر..... ٩٢
﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ ٩٣
العقل البشرى..... ٩٤
خلقت من طين ولكن تكوينى عجيب !..... ٩٤
انظر إلى العظام..... ٩٥
عظمة المخ ٩٥
انظر إلى المفاصل..... ٩٦
انظر إلى الأذن..... ٩٦
انظر إلى الفم..... ٩٧
انظر إلى الأسنان..... ٩٧
انظر إلى يديك..... ٩٧
انظر إلى قلبك..... ٩٨
صنع من هذا ؟..... ٩٨
أنت في قبضة الله في كل أمرك..... ٩٩
وتأمل معدتك ٩٩
﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ ١٠٠
﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ ١٠٠
نعمة الألم..... ١٠٠
قصة الطفلة التى لا تشعر بالألم !!..... ١٠١
﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾..... ١٠٢
ألا تشكر الله على نعمه التي وهبك إياها..... ١٠٣
الدنيا وما فيها لا تساوى نعمة واحدة مما أنعمها الله عليك... ١٠٤
مُلك لايساوى شربة ماء تشربها أو منعت من إخراجها ١٠٥

من عجائب المخلوقات وغرائب الكائنات..... .... ١٠٧
شجرة تأكل الناس..... .... ١٠٧
الأسماك الضوئية ١٠٧
لماذا حرم لحم الخنزير؟..... ١٠٨
ماذا يحدث للصقور بعد ٤٠ سنة ؟!..... ١٠٩
الغراب..... .... ١١٠
محكمة الغربان ١١٠
لكل جريمة عند جماعة الغربان عقوبتها الخاصة بها..... ..... ١١١
صور من وفاء الحيوان..... .... ١١٢
الفرس الوفي..... .... ١١٢
ذكاء كلب..... .... ١١٢
لماذا نحب الله ونذوب شوقاً إليه ؟ ١١٣
ما معنى كلمة حب؟..... ١١٣
مجهولين في الارض معروفين في السماء..... .... ١١٣
الإيمان نور المؤمن ١١٥
ما الكافر؟..... ١١٥
هل نحن نحب الله؟..... ١١٧
الكل يدعى محبة الله ولكن .....!!!.... .... ١١٩
ما علامات محبة العبد لله ؟ ١١٩
من عرف الله أحبه ١٢٠
روابط الدم والنسب تنقطع عند معاداة الله ورسوله..... .... ١٢١
محبة الله تعالى ورسوله ﷺ مقدمة على محبة الأولاد والأموال والنفوس ١٢٢
فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان..... .... ١٢٢
من أحب شيئا سوى الله عذب به..... .... ١٢٣

أنواع المحبة ١٢٣
كم أحبك ياربي!!!..... ١٢٤
ماذا فقد من وجدك ؟وماذا وجد من فقدك ؟..... ١٢٥
كيف ندفع الهم والغم عن أنفسنا؟..... ١٢٦
لماذا لا نرى الله في الدنيا ؟ ١٢٧
من منا لا يتمنى أن يرى الله!!..... ١٢٨
فرؤية الله عز وجل تقتضي فقد الإنسان لحريته التي أرادها الله له. ١٣٠
لقد شاءت إرادة الله أن يكون الإنسان مخيراً ١٣٠
من أركان الإيمان أن نؤمن بالغيبيات ١٣١
الله سبحانه وتعالى غيب..... ١٣١
رؤية الله في الآخرة ممكنة..... ١٣٢
هل يرى الكافر ربه يوم القيامة؟ ١٣٢
هل يرى المؤمن ربه ؟ ١٣٢
الدليل على رؤية الله في الآخرة من القرآن الكريم..... ١٣٣
الدليل على رؤية الله من السنة المطهرة..... ١٣٣
إلهه تقود عابديها إلى النار..... ١٣٤
المراجع ١٣٨
الفهرس..... ١٤٠

تم بحمد الله